مجلة البيان – العدد 25 ، رجب 1410 هـ / فبراير 1990م

الافتتاحية

هل هناك أمل في صلاح حالنا؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد أولاً من الإشارة إلى هذه الحال التي نطلب لها الصلاح : هل هي سيئة ومضطربة وتحتاج إلى إصلاح؟ والجواب: نعم إن حالنا- نحن المسلمين - قد بلـغـت من السوء حداً لا يرضى عنه مخلص، ركود وكل شيء من حولنا يتغير، وجـمــود وكل ما نراه تحت أقدامنا يتحرك ، وعدم مبالاة بعظائم الأمور ، واهتمام بسفسافها ،وفي حين تـبـدو بـوارق أمــل هنا وهناك في أنحاء متفرقة من عالمنا الإسلامي؟ لكن هذه البوارق سرعان ما تنطفئ فكأنها لمعة برق في ظلام متراكم أو سراب بقيعة!

هناك من لا يرى أملاً في حاضر ولا مستقبل ، ينظر من حوله فيرى الحياة مُسَمّمة ، فساد تضج منه الأرض والسماء ، غش وخداع يقدم بصورة إخلاص وتفانٍ ، وجبن متحكم تقدمه وسائل الإعلام المحترفة على أنه الشجاعة والنخوة ، معارك مختلفة يخرج منها نكرات أبطالاً ، ومعارك حقيقية يغفل دور مديريها، محاباة للأقارب والمحاسيب ولو كانوا سفلة معتوهين، وإقصاء للأكفاء الأحرار الذين يعانون الكبت والتجاهل، أو يدفعون دفعاً لخدمة الأمم الأخرى التي تـقـف بالـمـرصــاد للمواهب التي لا يعرف أهلها لها قيمة. ليل مطبق بظلمات بعضها فوق بعض من أخرج يده فيه لم يكد يراها..

هذا ما تراه العين، أما ما غاب عنها فيحتاج إلى مواهب أدبية جبارة لتصفه بصدق. وتحيط بخطوطه ودهاليزه.

إن سوء الأحوال الاجتماعية يزداد طرداً بتناقص أثر الدين في المجتمع ، وعلى الرغم من أن المسلم يعتقد أن الله حافظ دينه ، وناصر أولياءه ؛ وأنه لا يخلي الأمة من قائم بالحق داع إليه إلا أنه ليس من الحكمة ولا مـن تمـام الـوعــي أن يتجاهل الهجمة الشرسة التي تشتد على الإسلام يوماً بعد يوم بل ساعة بعد ساعة.

ومع أن الإسلام يكسب كل يوم حجة جديدة ، ويـؤيــده الله بمؤيدات عديدة ، إلا أن حكمته تعالى اقتضت أن هذا الدين كلما تأكدت حججه وتـبـلـجـت أمام الأنظار براهينه ؛ ابتلى الله أتباعه بصنوف جديدة من الابتلاء ، وعرضهم لأساليب من الكيد قد لا يكون جربها فيما سبق نمرود إبراهيم وفرعون موسى.

إن أسـالـيـب الـمـكــر والـقـهـر الـتـي تجـرب علـى دعــاة الحق في البلاد الإسـلامـيــة

إن اختلفت في صورها وأشكالها ، فهي تلتقي مع الأساليب الـقـديـمـة - التي عومل بها الدعاة إلى الله على مدار القرون - في نتائجها وآثارها. مهما

اختلـفـت الأسـاليب : بين صلب وقتل وتعذيب ، بين تجويع وتضييق وتنكيل ، بين وضع الصخور عـلـى الـصـدر والظهر في الرمضاء الملتهبة أو بين استعمال الوسائل الحديثة التي تفتقت عنها العقول الـشـيـطـانـيـة ، أو تعذيبه عذاباً نفسياً كالإهانة والإذلال واقتحام الخصوصيات وافتراء الفضائح وإلصاقها به...
لكن النتيجة هي هي : الموت أو النفي أو الجوع أو الإذلال أو الحبس.
ما موقف المسلم من هذا كله،من اشتداد وطأة التعذيب والمطاردة وافتراء الأكاذيب وتشويه الحقائق وليّ الوقائع؟ هل يتـخـلـى عن دينه ؟ وهل يتنازل عن أوليات عقيدته وأساسيات يقينه ابتغاء السلامة ، وإيثاراً للعافية ، وموافقة لدعاة الفتنة؟!
كلا،كلا.
إن المسلم سيظل يقرأ القرآن ما دام هناك قرآن. وسوف يمر في قراءته على هذه الآيات من سورة العنكبوت ((الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولـُـوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ ولَقَدْ فَتَنَّا الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَذِيـنَ صَـدَقُــوا ولَـيَـعْـلَـمَـنَّ الكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَن كَانَ يَرْجُو لِـقَــاءَ اللَّهِ فَــإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ومَن جَاهَدَ فَإنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ)) [العنكبوت: 1-16].
وسوف يظل يتساءل في نفسه :
من هؤلاء الناس؟
وما الفتنة ؟ وكيف تكون؟
من المؤمن الصحيح؟ ومن المؤمن الكاذب؟
من الذين يجترحون السيئات ويحادون بها الله؟
من المجاهد؟
ثم هل لهذه المصطلحات مقابل في هذه الأزمان؟
هل هناك أناس يؤمنون إيماناً قولياً وآخرون يؤمنون إيماناً عملياً؟
هل هناك من يتعرض للفتنة؟ من هم ، ما مواصفاتهم؟
من الفاتنون ؟ما حقيقتهم من يمثلهم؟
هل في الأرض الإسلامية من يحارب الله بالمعصية ويتجرأ على شرع الله بالهزء والسخرية؟
هذه الآيات - وغيرها كثير في القرآن الكريم - تطرح أسئلة كثيرة تتطلب من المسلم التالي للقرآن أجوبة ، وهذه الأجوبة موجودة سواء عالن بها المسلم أم لم يعالن ،وهي أجوبة ينبني عليها موقف لا بد له منه شاء أم أبى.
إن حياة الأمة الإسلامية مرتبطة بهذا القرآن فهماً وتطبيقاً ومواقف ، فإذا حملت الأمة هذا الكتاب بقوة ، وفهمت وقاست واقعها عليه كانت أمة إسلامية

حقاً ، وإذا رضيت أن يتلى في المساجد فقط تلاوة لا روح فيها ، أو يحمل للبركة أو يتلى على الأموات فقد فقدت عنصر الحيوية فيها كأمة إسلامية متميزة وانخرم من إسلامها بمقدار ما انخرم من فهمها لما يمثله القرآن في بنائها.

إن المسلم التالي للقرآن لا يفقد الأمل أبداً ، يلمح سنة الله في تصارع الحق والباطل ؛ فيعلم أن الباطل مهما تضخم وانتفخ وتجبر لا بد أن يذهب مخلفاً وراءه اللعنة عليه وعلى دعاته وحراسه ، وأن الحق هو القاعدة التي بني عليها الكون ،والباطل هو الشذوذ.

وإن أشد حالات الباطل سوءاً ضرب العبودية على الشعوب والجماعات ، ونصب الأفراد المغتصبين ما ليس لهم من صفات وحقوق آلهة يُسَبَّحُ بحمدها بكرة وعشياً ، وجعلها مصدر النعمة والإلهام لجموع عريضة من البشر ، واحتكارها المنافع ، وادعائها ما لا تعرف من الفضائل... إن الجموع التي تقاد بهذه الطواغيت ، وتساس بمثل هؤلاء المفلوكين جموع بطن الأرض خير لها من ظهرها ، هذا إذا لم تنفض عنها غبار الذل المضروب والعبودية الباطلة.

بعض الناس الذين يتململون من وقع الظلم في ديارنا مشغولون بعقد المقارنة بين ما عايشوه وما بين ما عايشته شعوب أوربا الشرقية. ويفركون أيديهم توقعاً للنهاية التي حلت بطواغيت شرقي أوربا أن تحل ديارهم ، والرياح التي هبت هناك فكنست ممن كنست؛ أن تواصل مسيرها حتى تصل إليهم فتفعل ما يتمنون!

ولا نـسـتـطـيـع أن ننكر وجوه المشابه بين ما عندنا وما عند غيرنا من أشـكـال الـعـســف والجَبَرية ، ولكن كم هو مفيد أن نتذكر أن هناك اختلافات لا بد من وضعها في الحسبان حتى لا نستعجل في التوقعات.

ومن ذلك :

1 - إن أجـهــزة الإعــلام الـغـربية لعبت دوراً لا يستهان به في سقوط رموز الشيوعية ، وهيأت الرأي العام في تلك البـلاد ليضـغـط ضغطاً بعيد الأثر.

أضف إلى ذلك دور الكنيسة (الكاثوليكية) بوجه خاص. في حين ليس لـنــا صحافة حرة فاعلة ، والإعلام الغربي يقف على الحياد ، ويصمت صمتاً مشبوهاً تجاه قـضـايــا العدالة والحرية في العالم الإسلامي ، وكذلك ليس عندنا جهاز مستقل له أثر كالكنيسة الـكـاثـولـيـكـيـة ، يعبر عن ضمير الأمة الإسلامية .

2- قيض الله لأكبر دولة ابتليت بالسيطرة الشيوعية رجلاً أوتي الجرأة أن يعترف بمفاسد هذا النظام ، وما جره على محكوميه من نكبات (ولسنا معنيين بما إذا كان غورباتـشـوف مخلصاً للدعوة الشيوعية أو غير مخلص ؛ يريد أن يهدم هذا النظام من أساسه؟ أو يبحث عن دور تاريخي عن طريق إصلاح الشيوعية) فلما وجد هذا الشخص وجهر بما جهر به تبينت تلك الشعوب أنه

يمكن تحدي تلك الأنظمة غير الأصيلة التي تستمد قوتها من ذلك النظام المنخور الذي لم يعد بإمكان أحد أن يدافع عنه.

أمــا نحـن فـــإن سوء أحوالنا لم يسببه استمدادنا الشرعية لا من "غورباتشوف" ولا من "بوش" بل إن الطغيان الذي يمارس علينا عميق الجذور بعيد الغور؟ طغيان متوارث مرد عليه وارثوه ، ومرنت عليه المخلوقات التي يطبق عليها.

إن ما يسود في بلادنا ليس شيوعية حتى إذا تأثرت الشيوعية تأثرنا ، ولا اشتراكية حتى إذا ما عدلت الاشتراكية عدلنا ، ولا رأسمالية شبيهة برأسمالية الغرب ، إن ما يسود في بلادنا هو خليط عجيب فيه من كل نظرية خرقة ومن كل فلسفة مزقة، ومن كل واد عصاً، وإذا ما ذهبنا نقيس ما عندنا على ما عند غيرنا أعيانا القياس وأصابتنا الحيرة.

وفي الجملة إن ما أصاب شعوبنا الإسلامية من تردي أحوالها، وضربها بالتفرق، وإذكـــــاء نار العداوة بينها،وتسليط لئام الخلق يتحكمون بها، ويجرون عليها سياساتهم ومخططاتهم ، وغير ذلك من أنواع البلاء... كل ذلك بسبب إعراضها عن الله ، وتضييعها المنهج الذي يعصمها من ذهاب الريح، والضلال عن الحقيقة. ولن يكون هناك أمل في إصلاح ، وانتقال من التيه والضياع إلى الطريقة الواضحة الموصلة إلى ما ترجو إلا بعثورها على هذا المنـــهـج وتمسكها به. وليس من طريق إلا الإسلام ولا من منهج إلا القرآن الكريم وسنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- » نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله

في إشراقة آية

فاعتبروا يا أولي الأبصار

د. عبد الكريم بكار

هذه آية جليلة الشأن في الكتاب العزيز سرت مسرى المثل، وذاعت على الألسنة والأقـلام؛ لأنها تعني وجوب الاستفادة من تـراكـم الخـبــرات البشرية ، وأخذ العظة والـعــبـرة من أحوال الأمم السابقة ، والمعاصرة ، وتوفيراً للجهد ، واختصاراً للطريق ، وفراراً من عذاب الله تعالى...

وقد قص الله تعالى علينا في سورة الحشر قصة جلاء بني النضير من المدينة إلى خيبر والشام مبيناً وقوع ما ليس في الحسبان، فقال تباركت أسمـاؤه : ((هُوَ الَذِي أَخْرَجَ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَـشْــرِ مَــا ظَنَنتُمْ أَن يَـخْـرُجُــوا وظَـنُّــوا أَنَّـهُــم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُـخْــرِبُــونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي المُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ)) [الحشر:2].

لـقـد كــان خـروج بنـي النضير في تلك الصورة المهينة الذليلة حدثاً بعيداً عن أذهان بني النضير وأذهان الـمـسـلـمين لأن الأسباب المادية التي أخذ بها القوم كانت على درجة من الإتقان والإحكام تحول دون تصور ما وقع..
ولكن العزيز الجبار الــذي لا رادَّ لأمــره ، ولا معقـب لحكمه أتاهم من حيث لم يحتسبوا أتاهم من الداخل ، فألقى في قلوبهم الــرعب ، فـخـارت عزائمهم ، وأدركوا أن قوتهم ما عادت تغني عنهم شيئاً .
وما أشبه الليلة بالبارحة !!
فهذه هي النظرية الشيوعية تنهار اليوم في أسرع مما كان يدور في خلد البشر ، وهذه هي مئات الألوف من الكتب والمجلدات التي ســطــرت في فلسفة النظرية وترويجها وتكييف البشر معها تغدو رماداً تسفوه رياح التغيير الــعـاتــيــة في وجوه السدنة والكهنة والمرتزقة والأذناب وأشباه الأذناب..
لقد كان سقوط النظرية الشيوعية أمراً لا مفر منه ، ولكن المذهل هو انهيار البناء الذي أنفق فيه ثلاثة أرباع القرن من الزمن مع ملايين الأنفس ومـــا لا يـحـصــى من الآلام والعذابات وصنوف المعاناة الإنسانية في أسرع من لمح البصر.
قد كانت أفكار (كارل ماركس) رد فعل لحرمان طويل ومعاناة شــخـصـية قاسية. والناموس العام لردود الأفعال البعد عن الموضوعية وفقدان الاتزان.
وقد قبل أفكار (كارل ماركس) في البداية صنفان من البشر :
صنف طحنه الظلم والحرمان ، وتقلب دهراً في التعاسة ، وطرق كل باب للخروج من نفق الظلمات الذي ولد فيه فإذا بنظرية تعده بجنة على الأرض تنسيه طعم كل ما مضى من العناء والبلاء ، فهبَّ إلى اعتناقها والترويج لها على أنها الحل الأخير والمخرج الوحيد.
والصنف الآخر - وهم الكثرة من الأشياع - وجد في السلطات المطلقة التي تركزها النظرية في قبضة الحزب الشيوعي والدولة الماركسية ما يلبي من خلاله كل طموحاته الشخصية من الجاه والمال والتسلط ، وما يتفرع عن ذلك من شهوات وملذات ومصالح..
ولم يمض وقت طويل حتى أدرك الذين كانوا يحلمون بالفردوس أن الخبر غير الخبر وأن المحصول غير المأمول..
ولكن إدراك الشعوب كثيراً ما يأتي متأخراً بعد فوات الأوان..
فقد ركزت الحكومات البلشفية المتعاقبة على صناعة السلاح دون باقي الصناعات حتى تتمكن من كسر شوكة أي معارضة محتملة للثورة على حين أنها لم توفر لشعوبها أحذية جيدة تنتعلها..
وجمعت إلى ذلك تجنيد عشرات الألوف من المخبرين السريين الذين يحصون أنفاس الشعوب ويعدون نبضات قلوبهم.

ولجأت الشعوب إلى سلاحها الماضي وحيلتها الأخيرة ، فشرعت في المقاومة السلبية ، وأدارت ظهرها لخطط التنمية المتعاقبة التي كانت تضعها الحكومات الشيوعية. ومن البدهي أن الحكومة تخطط وأن الشعب ينفذ فإذا لم ينفذ الشعب كانت الخطط حبراً على ورق أو صرخة في واد ، وهذا ما جرى لقد كان كل عام يمر يعنى مزيداً من الفروق المعيشية والحضارية بين أتباع الشيوعية وأتباع الرأسمالية ، وحين انهار جدار (برلين) أدرك الألمان الشرقيون - الذين كانوا يُدلُّون بأنفسهم على أشياعهم من أبناء أوربا الشرقية- الفجوة الضخمة التي تفصلهم عق الألمان الغربيين ، فالدخل عند الغربيين عشرة أضعاف الدخل عند الشرقيين ، والهواتف عشرة أضعاف وأعداد السيارات مضاعفة وهكذا على هذه اللازمة..

وفى اعتقادي أن الأحزاب الشيوعية انهارت بهذه الصورة؛ لأنها عجزت عن بناء حضارة مناسبة للعصر تغني شعوبها عن تكفف الآخرين وتوجد الثقة بالأسس النظرية التي قامت عليها ، وأسباب أخرى من هذا القبيل لا نقصد هنا إلى تعدادها. هل من معتبر؟

كانت الأحزاب الشيوعية والحكومات التابعة لها بحاجة إلى نوعين من المراجعة :

الأول : مراجعة أصول النظرية وقواعدها الأساسية والتي أثبتت السنين أنها خيالية ومتناقضة.

الثاني : قياس آراء النظرية من خلال الواقع الذي أفرزته التجربة الطويلة ، لمعرفة مكامن الخلل ومواضع الداء في النظرية والتطبيق. ومع أن (برجنيف) كان يقول : إذا لم نستطع كشف الأخطاء قتلتنا ، فإن سدنة الأحزاب الشيوعية بدءاً بقائل هذه الحكمة لم يستطيعوا الكشف عن أي خطأ ذي شأن فضلاً عن القدرة على الإصلاح. وكان الشغل الشاغل هو التبرير والدفاع والثناء بالجملة على الوضع القائم.

وفى عالمنا الإسلامي اليوم الكثير الكثير من الأخطاء وأصناف القصور على المستويات كافة. ووجود الأخطاء أمر طبيعي؛ ذلك لأن حركة الزمن تدع الكثير من الجديد بالياً ، وتوجب استمرار الاجتهاد والتكييف بين المبدأ والمصلحة ، وبين الوسائل والغايات ، وبين الأساليب والأهداف. وخلال عمليات التكييف هذه تحصل مفارقات تحسب للأمة تارة وعليها تارة أخر ى.

والأمة الحية اليقظة لا تكف أبداً عن عمليات المراجعة وقياس أداء المناهج والأساليب والأصول ، كما لا تمل من بحث المعوقات وطرح الحلول لها.

وإذا كان الآخرون يحتاجون إلى نوعين من المراجعة فإننا بحمد الله نسير في طريق لاحبة رسمها الأصفياء الأولون من رسل الله وأوليائه ، ومن ثم فإننا بحاجة إلى نوع واحد منها ، وهو التأكد من موافقة خطانا لروح الشريعة الغراء

ونصوصها ومدى توفر الشروط النفسية والاجتماعية التي يجب توفرها في حياة خير أمة أخرجت للناس.
وتتشخص هذه المراجعة في المفردات التالية :
1 - امتلاك الشجاعة الكافية للاعتراف بالأخطاء وأنواع التقصير في مسيرتنا الحياتية.
2 - التفريق الدقيق بين الأمراض وأعراضها حتى لا نعالج مظاهر المرض وأعراضه ونترك حقيقته ، فيكون العلاج مؤقتاً .
3-البحث في البنى التحتية لتلك الأخطاء للوقوف على عللها الأولى وأسبابها الحقيقية اهتداء بقوله تعالى : ((قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ)) [العنكبوت:20]
4- التغيير في برامجنا وأساليبنا بما يتناسب مع نتائج تلك المراجعات.
5- وضع صمام الأمان الذي يحول دون تكرار الوقوع في تلك الأخطاء.
6- غرس روح تحمل المسؤولية في أفراد الأمة والتربية على الشجاعة الأدبية الباعثة على محاصرة الخطأ والنقد البناء ، وتنمية روح المبادرة الفردية لديهم.
وإذا فعلنا هذا فإنا نكون قد ضمنّا استمرار الثقة بأصولنا الاعتقادية والفكرية ، وأوينا إلى ركن شديد يعصمنا من الأعاصير العاتية والانهيارات المدمرة.
وليس هذا على وارثة تراث الأنبياء والمكلفة بتبليغ الكلمة الأخيرة بعزيز. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

خواطر في الدعوة

بين يدي الدعوة

محمد العبدة

إن وسائل دعوة غير المسلمين كـثـيــرة ، والداعية الموفق يختار من الأساليب ما يشعر أنه مؤثر وناجح ، وبعض الناس قد لا يسـتـجـيب للدعوة إلا أن يرى شيئاً عظيماً يجعله يقف مبهوراً معجباً ، شيئاً يشده إلى الإسلام شـــداً ، ويأسره أسراً ويجعله يعيد حساباته ويفكر بعمق ويقارن بين الماضي والحاضر ثم يتخذ في نفسه القرار.
لقد قرر أن يستسلم ولكنه استسلام الحازم المطمئن الذي عرف الحقيقة فعلاً وليس استسلام العاجز أو صاحب غرض.
هكذا وقفت ملكة سبأ التي كانت تعبد الـشـمــس هــي وقــومها عندما دعاها سليمان عليه السلام إلى الإسلام أبت أن تنقاد مع اعترافها بضعفها أمام قـــوة سـلـيـمان وجنوده ، ولكن عندما دخلت الصرح وحسبته لجة ((قَالَتْ رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وأَسْلَـمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)) [النحل:144]لقد عُرضت عليها مظاهر القوة الخارقة لـتـؤثـر فـي قلبها وتقودها إلى الإيمان ،

وفى الإسلام لـيـس الأصــل هو المعجزات المادية - وإن جاءت عفواً وإكراماً فلا بأس- ولكن أليس التزام المسلم بدينه وتطبيقه في كل شئون حياته أكبر معجزة.

وفى قـصـة إسلام خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه خرج من مكة ميمماً شطر المدينة فلقيه فـي الـطريق عمرو بن العاص -رضي الله عنه- فقال له: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال : لقد استقام الميسم (وضح الطريق) وهاجرا معاً إلى المدينة.

إن خالداً قائد عسكري فذ ، ولا يخفى عليه أن انتصارات محمد -صلى الله عليه وسلم- إنما هي انتصارات دين سماوي ، انتصارات نبي يمثل الكمال البشري مؤيد من الله يسدده ويرشده، وبعد معارك وصراع من بدر إلى الحديبية استسلم خالد بن الوليد ولكنه استسلام القوي العاقل الذي يعرف مواقع الحزم واتخاذ القرار المناسب.

وقـد سـمـعـنـا فـي العصر الحديث أن بعض الكفار من الأوربيين أسلموا عندما رأوا صفوف المسلمين في الصلاة، وخشوعهم وإقبالهم على الله. قال الفيلسوف الفرنسي (رينان):" كلما رأيت صفوف المسلمين في الصلاة أتأسف أني لــســت مسلماً " إنها كلمة صدق من كذوب، فما الذي يمنعه عن الإسلام.

إن عرض الإسلام عرضاً جذاباً مع العلم الراسخ قد يكون من المؤثرات الفعالة فـي إقــبــال الناس على هذا الدين ، كما وصف ابن عباس -رضي الله عنه- حين فسّر سورة البقرة في أيــام مـنـــى من الحج ، قال من سمعه: " لو سمع تفسيره يهود أو نصارى لأسلموا " وإن أعــظــم دعـــوة للإســـلام هو التزام المسلمين بشريعة الإسلام وشعائره وآدابه وأخلاقــه، وإصرارهم على هذا ، وتحديهم للمجتمعات المنحرفة .

في المنهج والاستدلال

أثر الاجتهاد في المحافظة على منهاج الأمة وعقيدتها

د. عابد السفياني

المحافظة على التزام هذه الأمة بعقيدتها ومنهجها :

إن المجتمع الإنساني لا بد له من الحركة والنمو، لأن هذه هي طبيعة الإنسان الذي كلف بمهمة إقامة الخلافة على هذه الأرض... ويشترك المجتمع الإسلامي مع سائر المجتمعات التي تحكمها المِلل الأخرى في هذه الخاصية ويفترق عنها في أمور منها :

أ-أن المجتمع الإسلامي يمثل الأمة الواحدة للبشرية جمعاء ، فلا يعرف القوميات ، بل يعيش الناس فيه أمة واحدة ولو كانوا من شعوب وقبائل مختلفة.
ب -أن مهمته إقامة الخلافة على الأرض طبقاً للمنهج الرباني لا كما تصنع المجتمعات الأخرى في إعراضها عن هذا المنهج.
ج -أن مهمته القوامة على البشرية : ((وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس)) [البقرة:143]. ((ولْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ)) [آل عمران:104].
فهو مجتمع يشترك مع المجتمعات المخالفة له في خاصية الحركة والنمو والتأثر والتأثير ، ويفارقها في كونه مجتمع عقيدة ربانية ومنهجاً إسلامياً مهمته إقامة الخلافة على الأرض والقوامة على البشرية... ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بطريق الاجتهاد.
فالاجتهاد وهو عنوان"الحركة والنمو" هو السبيل الوحيد لحفظ توازن المجتمع الإسلامي، ولا يقوم إلا بعد عمل وتفقه ينتشر ليغطي أكبر مساحة من المجتمع الإسلامي، وهذا طريق لحفظ رسالته، ومن هذا الجهد ينشأ عمل خر على مستوى أكبر يتدرج حتى يسلمنا إلى مرحلة وجود المجتهدين... وإلى هنا يتحقق لنا أمران :
أ - قيام المجتمع بنشر الوعي الديني عن طريق تفقه الأمة في العلم .. وهذه هي القاعدة التي ينبني عليها ما بعدها.
ب -ظهور صفوة من الفقهاء يمثلون أهل الاجتهاد.
وبهذا يحفظ توازن المجتمع الإسلامي فحركته ونموه الطبيعيان اتجها اتجاهاً سليماً ونتج عن ذلك عمل إيجابي فهو من جانب حفظ جهد الأمة من أن يضيع وينحرف ، ومن جانب آخر حمل الأمة على أداء رسالتها الخاصة بإقامة مجتمعها على المنهج الرباني.
ومجتمع كهذا لا بد وأن تنتشر رسالته لأنه قد مثلها في نفسه أحسن تمثيل ، وهي رسالة الدين الخاتم الذي يحقق العدل الرباني في الأرض فإذا حدثت مرحلة التأثر والتأثير أو قل : زادت وقويت فإن المجتمع الإسلامي يحمل معه عدته وسلاحه ، ومن أعظم عدته وسلاحه " الاجتهاد ". إن المجتمع الإسلامي كما يريد أن ينشر المنهج الرباني في الأرض - على الطريقة الربانية- فإن المجتمعات المخالفة تريد أن تدس جاهلياتها وانحرافاتها في المجتمع الإسلامي أو تقذفها فيه... وهي لا تصنع ذلك إلا وهو محفوف بكثير من المغريات المادية التي تشتمل على نفع محض بل وفيها حاجيات وضروريات ، وقد يكون المجتمع الإسلامي في بعض الأحيان لا يمتلكها ولم يقدر بعد على تصنيعها.. وهنا إن لم يكن المجتمع الإسلامي يملك عدة " الاجتهاد " يضعف أمام هذه المغريات ثم يفقد توازنه ويبدأ تأثير الغزو الفكري يعمل عمله فيه ،

وأما إن كان يملك هذه العدة فإن موقفه سيكون إيجابياً ونذكر من آثار هذا الموقف ما يؤكد ضرورة الاجتهاد للمجتمع الإسلامي ومنها :
1- أثر الاجتهاد في رفع معنوية الأمة وزيادة إيمانها بمنهجها الرباني. بيان ذلك : أن الأمة التي تبذل جهدها في بناء أفرادها على منهجها الخاص عن طريق التربية والتعليم ونشر مفاهيم دينها نشراً صحيحاً وتعرف رسالتها حق المعرفة ؛ أمة ولاشك قوية معنوياً ، وهذه هي القاعدة التي ينبثق عنها الاجتهاد كما سبق وأن قلنا.
وأما زيادة الإيمان بهذا المنهج الرباني فيكون بأن يعلم أبناء المجتمع الإسلامي في كل حين -مع كل حادثة تجد في هذا المجتمع - أن منهجهم يشملها بحكمه ورحمته وأنها لن تبقى معلقة بلا حكم... ولن نذهب نبحث لها عن حكم في غير هذا المنهج وهنا تزداد الأمة تمسكاً بمنهجها وتزداد عزة وقوة.
2 - أثر الاجتهاد في حفظ الأمة من أن تتسلل إليها آثار الغزو الفكري الجاهلي... وذلك يتحقق بأن يقوم المجتهدون بالنظر في جهد الأعداء المادي والمعنوي ، فينظرون في مجموعة ويفرقون بين الحق والباطل ، والنافع والضار ثم يختارون -ومنهجهم الرباني هو الحكم وعزتهم وقوتهم تجعلهم يحكمون هذا المنهج ويختارون وهم في توازن كامل ، فلا يقعون في متابعة أعدائهم ولا يرفضون كل شيء... بل يختارون وهم لا يزالون يمثلون الرسالة -الربانية والقوامة على البشرية ، ولا يضرهم ولا ينقصهم في شيء أن يأخذوا ويختاروا ما ينفعهم... ولا يضرهم ولا ينقصهم أن يرفضوا ما لا ينفعهم... ولا يمكن أن نفرق بين الضار والنافع وما يوافق المنهج الرباني وما يخالفه إلا عن طريق "الاجتهاد".
3 - أثر الاجتهاد في هداية الأمم الأخرى - وذلك قبل الجهاد - إن موقف المسلمين هذا لا شك سيكون له أكبر الأثر في أعدائهم فأول ما يعلمه الأعداء أنهم أمام أمة لا يمكن أن تُستغفل وتُمتطى وهذا له تأثير نفسي عميق يجعل الأعداء في موقف التأثر والإعجاب والانبهار أمام هذه الأمة القوية التي تحسن أن تختار لنفسها حسب ما يرتضيه منهجها الرباني، والأثر الذي يتبعه مباشرة أن يعرف الأعداء- بعد انكسارهم النفسي-أن في الأرض منهجاً متوازناً يفرق بين الحق والباطل والنافع والضار ولا يهدر طاقات العقل البشري النافعة... ويحول في الوقت نفسه بين انحرافات البشرية وبين الفطرة الإنسانية ليقوم العدل في الأرض... وهذا المنهج هو "الإسلام" وهذه دعوة عملية لها من الإيجابية وحسن التأثير شيء عظيم.
هذه هي بعض آثار الاجتهاد في داخل الأمة وفى علاقاتها مع أعدائها ، وهو دليل قاطع على ضرورته وفرضيته وأنه لا تصلح هذه الأمة إلا به ولا تهتدي البشرية إلا به ، وإن لم يتحقق فإن تلك الآثار الإيجابية تنقلب لتكون آثاراً سلبية والضد بالضد ، وضد الحركة والنمو الجمود والتقليد.

ولنتصور نقيض تلك الآثار وضدها.. لكي ندرك الخسارة التي وقعت فيها هذه الأمة لما أهملت مهمة الاجتهاد (1) وخاصة لما اجتمعت عليها الأمم كما تجتمع الأكلة إلى قصعتها ، كل أمة من أمم الكفر معها نافع وضار ، نافع يتمثل في ماديات ضرورية وحاجية ،وضار يتمثل في مبادئ ومفاهيم جاهلية لا تحفظ ديناً ولا عرضاً ولا عقلاً .. بل ترتكس في مجال العقائد والأخلاق إلى مستوى الكفر والشرك والفتنة والإغراء ونتج عن ذلك أنظمة وضعية تعارفت عليها تلك الأمم وانبثقت من عقائدها وأخلاقها....

وكانت عملية الاجتهاد كفيلة بالتفريق بين الضار والنافع... وكفيلة أيضاً بمراعاة الأحوال الجديدة التي نشأت من طبيعة المجتمع الصناعي واستنباط أحكامها الخاصة بها ومراعاة الضوابط التي تحفظ الضرورات الخمس : الدين والعرض والنفس والعقل والمال ، فإن المجتمع الصناعي -وإن كان محتاجاً إلى عملية الاجتهاد كما يحتاجها المجتمع الزراعي والرعوي- إلا أنه أشد حاجة لها ، أضف إلى ذلك أن السلبيات التي تنتج عن تعطيل مهمة الاجتهاد أو عدم القيام بها على الوجه المطلوب تظهر آثاراً على نحو مخيف وخطير في المجتمع الصناعي أشد بكثير من ظهورها في غيره من المجتمعات ذلك أنه مجتمع الحركة الفوارة والتجدد المستمر فإن لم ينضبط بعملية الاجتهاد ازدادت تلك السلبيات واستمرت في الازدياد.

وهذه الحكمة التي تحدثت عنها هي أعظم حكمة لمهمة الاجتهاد لأنها سبيل عظيم للمحافظة على التوحيد وأحكامه الذي تمثله هذه "الشريعة"

والمحافظة على المجتمع الإسلامي من آثار الشرك وأحكامه الذي يمثله الغزو الفكري الحديث

1- وقعت الأمة في ضد ذلك تماماً لما أهملت هذه الفريضة وزادت ردود الفعل من داخلها الأمر سوءاً فقد اختلفت مواقف العلماء من آثار النهضة الأوربية فمنهم من رفضها كلها ومنهم من قبلها بدون تمييز... وهذان موقفان سلبيان... ومنهم من نادى بالتمييز بين الضار والنافع... وهذا موقف إيجابي ولكنه لم يكن له من القوة والانتشار ما يسمح له باكتساح التيار الذي نتج عن سلبية الموقفين السابقين ، وقد كان قيام العلماء بعملية الاجتهاد - كما بينت وعدم اختلافهم عليها وتخلفهم عنها- كفيلاً بأن يحول بين الأمة وما وقعت فيه من تلك السلبيات العظيمة وأعظمها أنها أصبحت فريسة لآثار الغزو الفكري الحديث.

مفاهيم إسلامية

الدين والدنيا

بقلم / محمد العبدة

وترى الدنيا انطوت في كسبه
ليس منها ذرة في قلبه

(إقبال)

لا نبتعد كثيراً إذا قلنا إن الاختلال في توازن أمور الدين والدنيا كان ولا يزال أحد الأسباب التي جعلت المسلمين يتعثرون في نهضتهم ويضعفون في الوصول إلى أهدافهم.

إن كثيراً من المسلمين يحملون مفهوماً خاطئاً عن الدنيا أو عن التوازن بين الدنيا والدين، فتراهم يطربون عندما يسمعون قصص الزهد غير الشرعي ، وقص الزهاد الذين يتركون الدنيا كلها ، والواعظ الذي يذم الدنيا دائماً يقبل الناس عليه ويسمعون منه ، ويعجبون به.

لا شك أنها معادلة صعبة ودقيقة تلك التي تجمع بين الدنيا والدين ، أو بين الدنيا والآخرة ، وأي خلل في فهم هذه المعادلة سيؤدي إلى أخطاء كبيرة وتقصير عما يريده الله سبحانه وتعالى من المؤمنين من التمكن في الأرض وإعمارها بالعدل ونشر الإسلام .

المفهوم الإسلامي للدنيا والدين :

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) : (الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل، والحسنة في الآخرة أعلاها دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر وتيسير الحساب) (1). وقال في الظلال : (إنهم يطلبون الحسنة في الدارين ولا يحددون نوع الحسنة ، وهذا التعليم الإلهي يحدد لمن يكون الاتجاه ، ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره ، وترك له الخيرة فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة إن الإسلام لا يريد من المؤمنين أن يدعوا أمر الدنيا فهم خلقوا للخلافة في هذه الدنيا ولكن يريد منهم أن يتجهوا إلى الله في أمرها) (2).

فالدنيا في المفهوم الإسلامي الصحيح وسيلة وذريعة لتحصيل مقاصد الشريعة (فالمقصد هو الدين ولكن لما استمد استمراره من الدنيا كانت هذه القضية مرعية) (3) والكسب في الدنيا من الواجبات لأنه لا يستطيع الاستقلال بالعبادة إلا بتأمين ضروريات حياته ، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (4) ، فإذا كانت الدنيا بهذه المثابة وأنها منزل وممر لا موطن ومقر فالآخرة هي دار الجزاء ، قال تعالى :((فَإذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وإلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)) إذا كانت كذلك (فالواجب الكشف عن جهة انتظامها واختلالها، لنعلم أسباب صلاحها وفسادها) (5) ويقصد الماوردي : بما أنها مطية للآخرة ، فإنها إذا فسدت فربما أدى فسادها إلى إنقاص الدين. فإذا وصلت الحال بأهلها إلى قلة الأمن وقلة الرزق أو التهارج والقتل والعيش الذليل وتسلط الأعداء وقهرهم

للمسلمين ، فمن المؤكد أن هذه الأمور تضعف الدين كذلك فلا يستطيع المسلم أن يقول : أنا أحفظ ديني وأدع الدنيا لمن هو راغب فيها أو للكفار.. يقول الماوردي : (لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلاف أمورها لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لأنه منها يستمد.. ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا ، وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها أثراً ، لأن الإنسان دنيا نفسه) (6).

ما ورد في القرآن حول الدنيا :

عندما يبتعد الناس عن منهج الأنبياء وعن اتباع الشرائع الإلهية ، تصبح الدنيا محورهم الأساسي ، وهى آمالهم وموضع لذاتهم ، ويصبحوا عبيداً لها. ولا فكاك لهم من أسرها. يقول الأستاذ محمد قطب : (وكان الخلل في الجاهلية العربية هو انفصال الدنيا في حس الناس عن الآخرة لعدم إيمانهم بالآخرة ، وهو الآن انفصال الدنيا في حس الناس عن الآخرة لاستصغارهم شأن الحياة الدنيا واحتقارها ، ولأول وهلة يبدو هذا الأمر هو عين الإيمان) (7).

جاء القرآن الكريم ليصحح هذه الأوضاع ويضع المسلم على الجادة المستقيمة ، فالدنيا ليست غاية وإنما وسيلة ، ولا بد من إعمارها ففي هذه الدنيا نعبد الله ونتعلم ونجاهد. قال تعالى : ((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ)) (غافر:51).

((ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)) [الأنبياء:105]

((نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ)) [فصلت:31].

((فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ)) [آل عمران:148].

((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ)) [الأعراف:32].

وذكر الزينة في هذا المجال له دلالته الخاصة ، إذ الزينة جمال والجمال شيء زائد على الضرورة.

(وأما ما جاء في القرآن من ذم للدنيا فهو لتأديب المسرفين وكبح جماح المفرطين) (8) كقوله تعالى : ((ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ ولَهْوٌ)) [الأنعام: 32]. وقوله تعالى : ((واضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً)) [الكهف:45].

فهي دعوة إلى عدم التعلق بالدنيا الفانية وأنها قصيرة لا تستحق أن تجعل غاية ، كقوله سبحانه : ((ورَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا واطْمَأَنُّوا بِهَا)) [يونس:7].

وقد بعث الله الأنبياء هداة للبشرية ولم يكن من منهجهم الإعراض عن عمارة الدنيا ، قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام : ((واذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَـفَــاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً)) وقوله تعالى على لسان صالح :

((وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَـا لَـكُـم مِّنْ إلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)) .

ما جاء في الأحاديث حول الدنيا :

وأما قوله -صلى الله عليه وسلم- :»الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر« فهي سجن بالنسبة لما ينتظره في الآخرة من جنات، وجنة الكافر بالنسبة لما ينتظره في الآخرة من العذاب. وكذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-:"»الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه«" فذكر الله وما والاه هو كل عمل خير يقصد به إقامة الدين ، وهذا مطلوب في الدنيا.

ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم- :"»ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة«" وحياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- العملية من الدعوة والجهاد وإقامة الدولة الإسلامية ، أكبر دليل على هذا التوازن فلم يمنع الصحابة اشتغالهم بالتجارة أو الزراعة من الجهاد والتعلم ونشر الإسلام.

أصناف الناس في مراعاة أمور الدنيا :

1-المنهمكون فيها وهم شر الدواب.

2 - المبتعدون عنها غاية الابتعاد ، وهذا مخالف للسنة الكونية والشرعية.

3-صنف وسط وفوا الدارين حقهما وهم الأفضل ، لأن بهم قوام أسباب الدنيا ، وهذا الصنف هو الذي يتناولها ويراعي فيها ما يجب فيقتصر لنفسه على تناول بلغته ، ويجعل الباقي مصروفاً إلى ما دعي إليه من الجهاد والعلم والنفقة على المحتاجين وكل أبواب الخير..

(يتبع)

شذرات وقطوف

مهزلة الشعر الحر

".. الذي يقرأ الشعر الحر، يجده يتميز بركاكة الأسلوب ، وضعف المعاني ، وكثرة الألفاظ الأجنبية الشائعة فيه، وعدم التزامه بضوابط، اللغة نحواً وصرفاً ... أثبت ما ذكرته عملياً... طلبت من أحدهم أن يحضر ورقة وقلماً ، ثم أمليت عليه شعراً حراً ، بدون معنى ولا هدف ، وقد استغرق إملائي عشر دقائق فقط ، ثم أوردت القصيدة إلى صحيفة في بغداد بدون ذكر ناظمها، وفي اليوم التالي وجدت القصيدة منشورة في الصفحة الأولى محاطة بإطار خطي جميل، ومقدمة تقديماً رائعاً، يصف الشاعر بالعبقرية، ويصف الشعر بالروعة والجمال . وأشهد أني كنت متعمداً ألا يكون للقصيدة أي معنى ، وأن الحاضرين عند إملائها لن يفهموا حرفاً واحداً، فكيف إذن فهمها

المحرر الأدبي في الصحيفة الذائعة الصيت ، الواسعة الانتشار ، وكيف أقدم على نشرها مهللاً مكبراً !!.

اللواء الركن محمود شيت خطاب
الوسيط في رسالة المسجد العسكرية ص 207 - 208

من أقوالهم :

" أحق الناس بالرحمة العاقل إذا تسلط عليه الجاهل ".

أبو الحسن العامري

ليس الغبي بسيد في قومه   لكن سيد قومه المتغابي

حاتم الطافي

غربة

قال الشاعر محمد بن نصر بن عنين يصف غربته عن دمشق :

فارقـتها لا عن رضـــا وهـجـرتـهـــا   لا عن قلى ، ورحلت لا متخيراً
أسعى لـرزق في الـبــلاد مـشــتــت   ومن الـعـجائب أن يكون مقــتـراً
وأصـون وجه مدائحي مـتـقـنـعـــاً   وأكـف ذيـل مـطـامـعـي مـتـستراً
أشكو إليك نوى تمادى عـمــرهـــا   حتى حسـبت الـيـوم منها أشهراً
لا عيشتي تصفو ،ولا رسم الهـوى   يعفو ،ولا جفني يصافحه الكرى

أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام
2 - الشجاعة

محمد الناصر

كانت الشجاعة عـنـد الـعــرب صنو الكرم في تعشقهم لها ، وافتخارهم بها.. إنها إقدام في مواطن الإحجام ، وعدم مـبـــالاة بالحياة ولا بالممات. "والعرب لم تزل رماحهم متشابكة وأعمارهم في الحروب متهالكة، وسيوفهم متقارعة، قد رغبوا عن الحياة، وطيب اللذات... كـانـوا يـتـمـادحـون بالـموت، ويتهاجون به على الفراش ويقولون فيه: مـات فلان حتف أنفه"(1).

لقد كانت الشجاعة مفخرة العربي..ذلك أن أهل البادية بعيدون عن الحامـيـة ، يحـمـلـون السلاح دائماً ، يعيشون في العراء غير محتمين بأسوار وجدران أو أبواب ، وهم "يتجافـون عن الجوع ، ويتوجسون للنبات والهيعات ،وينفردون في البيداء مدلين ببأسهم ، واثقـيـن بنفوسهم ، قد صار البأس لهم خلقاً والشجاعة سجية " (2).

إن الدفاع عن القبيلة وحماية محارمها، كــان يـفــرض عـلـى العرب أن يعشقوا الشجاعة والفروسية ، وإن الصحراء تربي في نفوس أبنائها صفات

الشجاعة والجرأة والكبرياء العنيدة،كبرياء الرجال الأحرار"وإذا تقصينا حياة العربي منذ طفولته أدركنا أن الشجاعة، ولدت معه ، وأنه شب وكبر وهى تتمشى في دمه... وطالما فزع طفلاً على قعقعة السلاح ، وصيحات المقاتلين ، وسمع الأقاصيص عن شجعان من القبيلة حموها وردوا المغيرين عليها ، أو هجموا على أخرى وأجلوها ، ثم شب فرأى الأبطال في ميدان الوغى تتنازع ، ثم كبر فشارك في المواقف وأفنى العمر في المعارك فلا عجب أن كانت الشجاعة خلقاً عاماً عند العرب" (3). وقد اختار الغالب منهم سكنى البوادي على الحضر ، لما كان فقد العز فيه ، والجبن إنما ينشأ من حب رغد العيش وطيب الحياة وعدم المبالاة بما يزري بعلو الحسب وأين ذلك منهم؟ ولقد كابد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تأليفهم واتحاد كلمتهم"(4).

إن ما دعا إليه الإسلام هو الجوهر الحقيقي للشجاعة .. الشجاعة في الحق ، لا الحمية في الباطل ، والجهاد الخالص ، لا للسمعة والرياء (5) تلك الحمية التي تجعل مائة ألف سيف تغضب لغضبة رجل ، لا يسألونه في أي شيء غضب؟!

مظاهر الشجاعة في الجاهلية :(6)

كان للشجاعة عند العرب مظاهر متعددة ، ومن تلك المظاهر الأنفة والحمية وإباء الضيم. يقول عنترة بن شداد :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل(7)

ومن مظاهر الشجاعة عندهم حب النجدة وإجابة الصريخ إذ لا يفعل ذلك إلا الشجعان الأقوياء ، ولا يتخلف عنه إلا المبلد الجبان. يقول طرفة بن العبد :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت فلم اكسل ولم أتبلد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد(8)

وكانوا يعتبرون حب المغامرة والترحال من مزايا الرجال الأشداء. يقول النمر بن تولب :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه تجلة ومهابة والفقر فيه مذلة وقبوح(9)

ومن مظاهر شجاعتهم أيضاً إصرارهم على الثأر مهما كلف الأمر ، وقد بالغوا في ذلك كثيراً ، وكان من محامد القبيلة أن تكثر قتلاها في الحروب ، لأن هذا دليل على ألفتهم لها. قال بشامة بن حزن النهشلي :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم قول الكماة : ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس؟ خالهم إياه يعنونا
ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا(10)

على أن الشعر لم يكن كله تصويراً لشجاعة الشجعان وإنما سجل حالات كثيرة من اعتراف الشاعر بجبنه أو جبن حلفائه أو عشيرته فليس كل عربي

بشجاع في الضرورة وإنما طبيعة الحياة البشرية أن تتنازعها بواعث عدة أو صفات شتى ، ولكل قاعدة شواذ..
لقد صرح كثير من الشعراء بفرارهم ، وتلمسوا المعاذير لنفوسهم ولا تهمنا هذه المعاذير ، إنما يعنينا أنهم اعترفوا بالفرار ولم يكتموه ، فر ذات يوم أوس بن حجر من جموع بني عبس ، واعتذر بأنه لما شهد الجموع خاف لأنهم شجعان ، ودافع عن نفسه بأن فراره اليوم لا معرة فيه لأن شجاعته مشهورة وبلاءه محمود. فهو يقول :

أجاعلة أم الحصين خزاية علي فراري إذا لقيت بني عبس
وليس الفرار اليوم عاراً على الفتى إذا جربت منه الشجاعة بالأمس(11)

هذه الطاقات الهائلة ، وهذه الشجاعة النادرة ، (حتى بالهزيمة ، فهي صراحة جريئة) بعد أن كانت تسخر للغزو أو للثأر ، وجهها الإسلام لإحقاق الحقوق ، ورد المظالم ونشر العدل في كل مكان.

الإسلام والشجاعة :

صار المسلم يقاتل في سبيل إعلاء كلمة الله ، ومن أجل إنقاذ المستضعفين في الأرض. قال تعالى : ((وقاتلوهم حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)) [البقرة:193] .
أصبحت غاية الجهاد في الإسلام ، مرضاة الله تعالى. ، وجنة عرضها السماوات والأرض:((إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ)) [التوبة:111].
إن الشجاعة عنوان القوة في الرجال ، وعليها مدار إعزاز الأمة ورفع شأنها ، ولذلك عدها الإسلام من أكرم الخصال ، وجعل المتصفين بها الأحب إلى الله. يقول عليه الصلاة والسلام :"»المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف«" (12) ، ويقول أيضاً :"»شر ما في المرء شح هالع. وجبن خالع" .
وما كانت الشجاعة في الإسلام للتبختر والخيلاء ، والاعتداد بالقوة والرياء ،وإنما جعلت لإظهار حق في هذه الحياة.. أو طمس باطل أمر الله بطمسه ، ودفنه وإخفائه (13).
إن الشجاعة في نظر الإسلام ، شجاعة مقيدة بأوامر الشرع فلا شطط ولا ظلم ولا عدوان ، إنما عزيمة صادقة لإحقاق الحق ، وإرادة نافذة لضبط النفس عن شهواتها ونزواتها. وقد تميز المسلمون بهذه الشجاعة النادرة ، وكانوا عند أوامر ربهم ، فرفعوا لهذا الدين راية ، وأصبحوا في شجاعتهم مضرب الأمثال ، وقدوتهم في ذلك كله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .
أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس -رضي الله عنه- قال : " كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة (رضى الله عنه) في عنقه السيف وهو يقول :»لن تراعوا لن تراعوا«. وفى حنين عندما انكشف المسلمون ثبت عليه الصلاة والسلام ، وفي ذلك يقول البراء بن عازب -رضي الله عنه- : " ولقد كنا إذا حمي البأس نتقي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن الشجاع الذي يحاذي به " (14).
لقد تخرج على منهج هذا الدين قادة عظام خاضوا معارك فاصلة في تاريخ العالم ، فخالد بن الوليد بطل اليرموك ،وسعد بطل القادسية ،وأبو عبيدة قائد فتوح الشام... أخضعوا الدول الكبرى من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله خفاقة ونشر العدل والمساواة في رحاب الإسلام.
ولن يستطيع أبناء القصور الوارفة ، والحلل الوثيرة من أبناء اليوم ، أن يستردوا ما فتحه هؤلاء الأصحاب الكرام ، وإننا بحاجة لغرس أخلاق الرجولة والشجاعة في أبنائنا ، بدلاً من التباكي على مقدسات سلبت ، وأعراض انتهكت ، وما ترك المسلمون الجهاد قط إلا أذلهم عدوهم واستباح حماهم.

الجرأة في تبيان الحق :

ومن الشجاعة الجرأة في تبيان الحق ، وإنكار المنكر ، ومن أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر.
وكانت سيرة علماء هذه الأمة ناصعة ، لأن الأمر بالمعروف واجب شرعي ، ومن هذه المواقف : موقف ابن تيمية رحمه الله مع قازان ملك التتار ،ومما جاء في مقابلته قوله : " أنت تزعم أنك مسلم ، ومعك قاض وإمام... فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت" ، ثم خرج من بين يديه مكرماً معززاً. بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله ما أراده وكان سبباً لتخليص غالب أسرى المسلمين من أيديهم. وكان رحمه الله يقول : لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه (15).
ومن العلماء العاملين العز بن عبد السلام ، الذي نذر نفسه للجهر بكلمة الحق. ذكر السبكي في طبقاته أن الشيخ عز الدين طلع إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة (في القاهرة) فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : يا أيوب ، ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال : هل جرى هذا؟ فقال الشيخ : نعم . الحانة الفلانية تباع فيها الخمور. فقال : يا شيخنا هذا من أيام أبى. فقال الشيخ : أنت من الذين يقولون : ((إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ)) . وقد أمر السلطان بإقفال الحانة على الفور ، ثم يسأل الشيخ أحد تلاميذه : أما خفته؟ قال الشيخ: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان أمامي كالقط (16).

واليوم: ابتعدت الشعوب عن رجولة العرب في جاهليتها لتحافظ على كرامتها وعزتها ، وعن شجاعة السلف الصالح الذين تفانوا في خدمة هذا الدين ، استهانوا بالموت فوهبت لهم الحياة الكريمة.
إن الفـتن شديدة ، والخطوب تحيط ببلاد المسلمين من أعدائهم في الشرق والغرب ، ولن يتصدى لهذه الشرور إلا فتيان عرفوا ربهم ، وصفت عقيدتهم ، واستقام سلوكهم فتقدموا غير هيابين ولا وجلين : ((وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ))

1 - بلوغ الأرب : الآلوسي 1 / 103 - 104.
2 - مقدمة ابن خلدون : 105 / ط الأزهرية بمصر.
3 - الحياة العربية من الشعر الجاهلي : الدكتور الحوفي ،ص 331 ، ط ه.
4 -بلوغ الأرب : الآلوسي 1 / 107.
5 - واقعنا المعاصر : الأستاذ محمد قطب / 167.
6 - انظر رسالة المعتقدات والقيم : محمد محمود صيام 0 33 -349، والحياة العربية للحوفي: 332 - 337.
7-ديوان عنترة ، ص 120 ، شرح عبد المنعم شلبي.
8 - شرح القصائد للتبريزي / 96.
9 - الديوان / 9 4 ، والبيتان منسوبان أيضاً لعروة بن الورد في ديوانه / 43.
10 - شرح الحماسة : العسيلان / 77 ، وبعضهم ينسبها إلى المرقش الأكبر.
11 - ديوان أوس.
12 - صحيح مسلم : كتاب القدر 4 / 2052.
13 - انظر المعتقدات والقيم : 778.
14- انظر حياة الصحابة 2 / 610.
15- من رسالة الكواكب الدرية ، نقلاً عن حياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار.
16 - معالم الثقافة الإسلامية ، عبد الكريم عثمان.

معالم في التربية

نحو المرتقى المنشود

صالح بن علي الكناني

إن المرتقى الذي بلغه عبد الله بن مـسـعـود الهذلي -رضي الله عنه- حين وضع قدمه على صفحة عنق أبى جهل -أعظم رمز من رموز الجاهلية في زمنه ، بل هو فرعون هذه الأمة - ذلك المرتقى كان صعباً حقاً ، ولم يكن مـرتقـى لابن مسعود ، إنما كان مرتقى الإسلام على رغم أنف الجاهلية ، ولم

تبلغه الأمة إلا بـعـد معاناة طويلة ، وتربية شاقة دقيقة ، ومحن وشدائد تنقطع دونها الأعناق.
واليوم والجاهلية تتبجح ، وترفع عقيرتها بـنــداءات الكفر ، وتستبد وتعربد ولا تجد من يقف لها أو يردها عن حياض الإسلام ، اليوم تـظـهــر الحاجة - وإن تكن قد ظهرت منذ زمن بعيد -إلى جيل يدير التاريخ كدورته الأولى ، فيـضـع أمته على قمة المرتقى ، بعد أن استطابت عيش السفوح وحظائر الوديان قروناً طويلة ، ولكي يخرج هذا الجيل - البركان - لا بد له من تربية طويلة جادة،وصبر ومصابرة على اللأواء والجهد،وتمحيص وتخليص من شوائب الاعتماد والعمل والمسار . أقول هذا وقد رأيت شـيـئـاً من الخلل والاضطراب في تربية شباب الإسلام،ما بين فجاجة تلتقط الشاب من حمأة الجاهلية،فلا تمر به ساعات، أو أيام إلا وهو (الداعية) المشار إليه بالبنان ، أو رتابة تراوح به زمـنـاً طـويلاً فيقـطع من عمره سنوات ولم يبتعد عن نقطة البداية غير خطوات،والطريق أمامه طويل طويل،والعودة إلى نقطة البداية أقرب وأيسر،وليته إذا عاد يقف عن نقطة البداية، ولكن الغالب أنه يعود إلى ما قبلها وهنا تكون الكارثة. أو صياغة جزئية تأخذ من الإسلام جانباً واحداً فتجعله إسلاماً كاملاً ، وتغفل عن عمد أو جهل ما سواه ، فيخرج لنا أرباع رجال وأسباع وأعشار ، وتغيب حقائق الدين الكبرى عن عيون أولئك ، فلا يرون إلا ذلك الجزء الذي تعلموه ، وفى كل هذه الحالات للشيطان ظفر كبير.
من أجل ذلك كتبت هذه الأسطر ، رجاء أن تعين على إنارة زوايا الطريق للسائرين -كل السائرين - وهذه معالم التربية ا لمطلوبة :

أولاً : هي تربية عقدية فكرية :

تقوم على نصوص الوحيين ، وتلتزم منهج السلف الصالح في تفسيرهما وفهمهما ، والاستنباط منهما ، وتنزيل أحكامهما على قضايا الواقع المعاصر ، تربية تجلي المفاهيم الاعتقادية ،وتغرسها في أعماق القلوب، وتتعاهدها حتى تصبح يقينيات راسخة ، لا تتصدع لشبهة ، ولا تنحني لرغبة ولا لرهبة ، أصولها في الأفئدة ، وفروعها في الجوارح ، وثمراتها في واقع الحياة ، ومالها الروح والريحان ، والمقعد الصدق عند المليك المقتدر ، تروى بماء التوحيد الخالص ، وتشرق عليها شمس اليقين ، ويحميها ذو القوة المتين ، ويباركها الله رب العالمين ، لأنها انطلقت من علم صحيح : ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ)) [محمد:19].

ثانياً : هي تربية روحية :

قوامها الخشية ، وتقوى الله في السر والعلانية ، والخشوع عند سماع القرآن، خشوعاً يملأ القلب خوفاً من الله ، ورجاء لما عنده ، وحباً للقائه، خشوعاً تجري معه ينابيع العيون ، وتتفجر به أنهار الطمأنينة ، وتلين لأصدائه الجلود.

ثالثاً : وهي تربية جماعية :
ترسخ مفهوم الأمة الواحدة ، والجسد الواحد ، يقوم بين أفرادها ترابط عضوي مصيري قوي ، حتى كأنهم البنيان المرصوص ، ليس فيه لبنة شاذة ولا فاذة ،وتعمق في النفوس أن الذئب إنما يدرك من الغنم القاصية، مع التوازن والاعتدال ، فلا تغرق الفرد في بحر الجماعة فيضمحل ويتلاشى، ولا تحمله على أكتافها فيتعالى ويتناشى ،تحفظ له كيانه ، وترتب له في البنيان مكانه ، يلين هو في أيدي إخوانه ، ولكنه ليس بإمعة ، بل هو ناقد بصير ، إذا رأى ما يريبه نصح واجتهد وبلغ ، فإن نفع ذلك وإلا قال : لا ، بملء فيه ، من غير أن يهدم البنيان ، أو يزعزع الأركان.

رابعاً : وهى تربية متدرجة :
تعطي كل أحد ما يصلحه ويلائمه ، وتعد لكل مرحلة ما يناسبها وتوفر لها احتياجاتها ، فلا تتجه لإعداد الولاة ، في وقت تكون حاجتها إلى توفير الدعاة ، ولا تنصب السقوف وهى لم تُحكم بعد بنيان القواعد والعمد ، وإن التجاوزات والقفزات سبب للبلاء ، وتجاهل المراحل والسنن الربانية ، واستعجال الوصول قبل الآخرين ، يعرض السائرين لمخاطر الافتراس أو الاندراس ،وأيهما كان فالنتيجة متقاربة ، وإن مرحلة ((كُفُّوا أَيْدِيَكُم)) [النساء:77] غير مرحلة ((انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً)) [التوبة:41]. فهي تلبس لكل حالة لبوسها ، وحين تكون في مرحلة فإنها تعد أحسن الإعداد وأكمله ، لما يتلوها من مراحل ، وإذا نظرت إلى الحاضر بعينين ، نظرت إلى المستقبل بألف عين.

خامساً : وهي تربية واعية :
تعرف ما يحيط بها من الأشواك ، وما يصوب إليها من السهام ، وما يوضع في طريقها من العوائق والعواثير ،وتدرك أن خفافيش الظلام لا يطيب لها طلوع الشمس ، ولذلك تثير الغبار ، وتفجر قنابل الدخان ، علها تحجب النور عن أبى عامر الفاسق وأحفاده ، لا ينفكون يحفرون الحفر ليقع فيها الدعاة المجاهدون ،وأن ابن أبي وسلالته داخل الصف يخذلون ويخبلون (إشارة إلى قوله تعالى في الآية [47] من سورة المائدة ((لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إلاَّ خَبَالاً)) وأن أبا جهل وورثته لا يزالون يقاتلون عن أحساب الجاهلية وموروثاتها ، وأن الشهوانيين والمارقين والحداثيين يقولون : ((لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ والْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)) .
إنها تعلم الخطط وأربابها ، وتبصر مساربها وأبوابها ، وتحيط بكل ما يعلمه الخصوم من مكر الليل والنهار ، وتعي ما ينبغي أن يقال وكيف يقال ، وما لا ينبغي أن يقال ، ومتى-إذا شاء الله تعالى-أن يقال.

سادساً : وهى تربية عالية :

تعلق النفس بمعالي الأمور ، وترفعها عن سفسافها ،وتفرغ النفوس من حظوظها العاجلة ، فلا ترضى إلا لله ، ولا تغضب إلا له ، ولا توالي إلا فيه ، ولا تعادي إلا لأجله ، وتتعلق بالمبادئ لا بالأشخاص ، وكم جر التعلق بالأشخاص والمسميات على أمة الإسلام من الفرقة والشتات ، وذهاب الريح ، وضياع الهيبة ، إنها تربية تجعل النفس تستجمع خصال الخير ، وأبواب البر ، ورؤوس الأخلاق الفاضلة ، تحب هداية الناس ، وتسعى إلى ذلك ما استطاعت ، وتفرح بها سواء تحققت على يديها أو على يدي غيرها ، تحسن أدب الاستماع والحوار ، وتغتفر زلات المجتهدين ، وتحسن الظن بالصالحين ، وتلتمس لهم المعاذير فيما أخطأوا فيه ، وترى أخطاءهم - إن لم يكن بد من رؤيتها - تراها قطرات سيئات في بحار حسنات.

سابعاً : وهي تربية جهادية جريئة :

ترى أن من أهم واجباتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ،تقول الحق لا تخشى فيه لومة لائم ، تعرف الفرق بين المداهنة المرفوضة ، والمداراة المقبولة ، تفتح عيونها على الحق ، ولا تغمضها ولو للحظة عن الباطل ، وترى أن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، وأن »سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله« -حديث حسن رواه الحاكم عن جابر .

وبعد :

أيها المربون الفضلاء! هل صبغت مناهجكم التربوية على نحو هذه الأسس؟ وهل كان التنفيذ على نحو الصياغة؟ ذلك ما نرجو أن يكون والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو وحده المستعان .

بحوث

شرح اعتقاد أهل السنة في الصحابة

محمد عبد الله الوهيبي

إن اعتقاد أهل السنة في الصحابة يمثل الـركـيــزة الـرئيسـية لدراسة تاريخهم -رضي الله عنه-م ، ولا بد أن يحصل الانحراف والتشويه لتاريخهم إذا درس بمـعــزل عن العقيدة، ولأهـمـيــة هـذا الموضوع نجد عامة كتب الاعتقاد عند أهل السنة تبينه بشكل جلى ، ولا يمكن أن نجد كـتـاباً مــن كتب أهل السنة التي تبحث جوانب العقيدة المختلفة إلا ونجد هذا المبحث.

ولذلك أريد في بحثي هـذا أن أبرز أهمية هذا الاعتقاد بجوانبه المختلفة ، ومدى الخطورة المترتبة على تركه من حيث بحث تاريخ الصحابة. وقد قسمته كالتالي :

1،2- أدلة عدالتهم من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة،اخترت أبرز الآيات والأحاديث الظاهرة الدلالة على ذلك مع تعليقات بعض الأئمة.
3- منزلة الصحابة لا يعدلها شئ ،بحثت فيه فضلهم على من بعدهم.
4- أنواع سبهم ، وحكم كل نوع ، وضحت فيه الفرق بين السب الذي يطعن في عدالتهم وما دون ذلك ، وكذلك من سب ما تواترت النصوص بفضله ، وما دون ذلك ، ومن سبهم جملة أو سب بعضهم ، وأشرت في آخر الفقرة إلى حكم من سب أم المؤمنين عائشة بما برأها الله منه ، ومن ثم أحكام بقية أمهات المؤمنين.
5- وأتبعت ذلك بحث الآثار المترتبة على السب أو لوازم السب.
6- وأخيراً بحثت الموقف فيما شجر بينهم وضحت فيه بعض الأسس والجوانب التي ينبغي أن ينظر إليها الباحث حين بحثه لما شجر بينهم لكيلا يقع في سبهم.
وبعد : أخي القارئ : لا أزعم أني سآتي بجديد ، وإنما جمعت أقوالاً مختارة للأئمة ، ورتبتها ترتيباً معيناً لهدف محدد ، وهو الدفاع عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو جهد يضم إلى كل الجهود التي يدافع أصحابها عن الصحابة سواء في مجال العقيدة أو الفرق أو التاريخ أو الحديث أو غيره. (1)

1- من أدلة عدالتهم في الكتاب والسنة :

إن عدالتهم عند أهل السنة من مسائل العقيدة القطعية أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة ويستدلون لذلك بأدلة لا تحصى من الكتاب والسنة.
عدالتهم في القرآن :
((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً)) [الفتح:18]. قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-:(كنا ألفا وأربعمائة)(2)
هذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم تزكية لا يخبر ولا يقدر عليها إلا الله ، وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم ومن هنا رضي عنهم (ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر ، لأن العبرة بالوفاء على الإسلام ، فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام ، وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضى عنه) (3). ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» الحديث (4).
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى ومن رضى الله عنه لم يسخط عليه أبداً .. فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه

والمدح له ، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك) (5).
وقال ابن حزم : (فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم ، و-رضي الله عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ، أو الشك فيهم البتة) (6).
ومن الأحاديث الواردة في عدالتهم ما يلي :
1 -عن أبى سعيد قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن ابن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :»لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه« (7) رواه مسلم.
قال ابن تيمية في الصارم المسلول : (... وكذلك قال الإمام أحمد وغيره : كل من صحب النبي -صلى الله عليه وسلم- سنة أو شهراً أو يوماً أو رآه مؤمناً به فهو من أصحابه ، له من الصحبة بقدر ذلك) (8).
2 - وروى أبو موسى الأشعري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال :"»النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابى ما يوعدون"« رواه مسلم في فضائل الصحابة ، باب بيان أن بقاء النبي -صلى الله عليه وسلم-أمان لأمته.

2 -منزلة الصحابة لا يعدلها شيء :

لا بد من تعظيم الصحابة ومعرفة أقدارهم ولو كان اجتماعهم به -صلى الله عليه وسلم- قليلاً.
قال الحافظ ابن حجر ذاكراً ما يدل على ذلك : (فمن ذلك ما قرأت في كتاب أخبار الخوارج تأليف محمد بن قدامة المروزي ،قال : كنا عنده (أي أبى سعيد) وهو متكئ فذكرنا علياً ومعاوية فتناول رجل معاوية ، فاستوى أبو سعيد الخدري جالساً - فذكر قصته حينما كان في رفقة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيها أبو بكر ورجل من الأعراب - إلى أن قال (أبو سعيد) : ثم رأيت ذلك البدوي أتى به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصار فقال لهم عمر : لولا أن له صحبة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أدري ما نال فيها لكفيتكموه) (9) قال الحافظ : ورجال هذا الحديث ثقات (9).
فقد توقف عمر رضى الله عنه عن معاتبته فضلاً عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء (9).
روى البزار في مسنده بسند رجاله موثوقون من حديث سعيد بن المسيب عن جابر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين« (9).

حدثنا وكيع قال : سمعت سفيان يقول : في قوله تعالى : ((قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ وسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَذِينَ اصْطَفَى)) قال : هم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- (9).
فهذا الاصطفاء والاختيار. أمر لا يتصور ولا يدرك ولا يقاس بعقل ومن ثم لا مجال لمفاضلتهم مع غيرهم مهما بلغت أعمالهم.
قال ابن عمر : (لا تسبوا أصحاب محمد ، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره) ، وفى رواية وكيع : (خير من عبادة أحدكم أربعين سنة)، رواه أحمد في فضائل الصحابة وابن ماجة وابن أبى عاصم بسند صحيح قاله الألباني (10).
من كل ما سبق ذهب جمهور العلماء إلى أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، أما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة أو ضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده ، لأنه ما من خصلة (إلا للذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده ، فظهر فضلهم)(11)
قال الإمام أحمد رحمه الله في عقيدته : (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال) (12).
وقال النووي : (وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) (13).
أيضاً التزكية الداخلية لهم من الله عز وجل العليم بذات الصدور مثل قوله تعالى:((فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)) وقبول توبتهم : ((لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ والْمُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ)) الآية ،ورضاه عنهم : ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ..)) إلخ ، كل ذلك اختصوا به ، فأنى لمن بعدهم مثل هذه التزكيات؟
لكن يقول قائل (14) : لقد وردت بعض الروايات الدالة على خلاف ما ذكرت مثل قوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث أبى ثعلبة :»تأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين ، قيل:منهم أو منا يا رسول الله؟ قال : بل منكم«(15).
وقوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث أبي جمعة قال : قال أبو عبيدة : يا رسول الله ، أحد خير منا؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك ، قال : »قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني« (16). فكيف الجمع بين هذه الروايات وما ذكر سابقاً ؟ .

أجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة أهمها :

1 -حديث "للعامل فيهن أجر خمسين " لا يدل على الأفضلية لأن مجرد زيادة الأجر على بعض الأعمال لا يستلزم ثبوت الأفضلية مطلقاً.
2 - أن المفضول قد توجد فيه مزايا وفضائل ليست عند الفاضل ولكن من حيث مجموع الخصال لا يساوي الفاضل.

3 - وكذلك يقال الأفضلية بينهما (إنما هي باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المؤمنين ، فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من يأتي على بعض الصحابة في ذلك ، أما ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم وفازوا به من مشاهدة طلعته -صلى الله عليه وسلم- ورؤية ذاته المشرفة المكرمة ، فأمر من وراء العقل إذ لا يسع أحد أن يأتي من الأعمال وان جلت بما يقارب ذلك فضلا عن أن يماثله) (17).
4 -أما حديث أبى جمعة فلم يتفق الرواة على لفظه ، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم ، ورواه بعضهم بلفظ قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً ؟ أخرجه الطبراني. قال الحافظ في الفتح : (وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة ، وهي توافق حديث أبي ثعلبة وقد تقدم الجواب عنه ، والله أعلم) (17).
وأخيراً ينبغي التنبيه في آخر هذه الفقرة إلى أن الخلاف بين الجمهور وغيرهم في ذلك لا يشمل كبار الصحابة من الخلفاء وبقية العشرة ومن. ورد فيهم فضل مخصوص كأهل العقبة وبدر وتبوك.. إلخ.
وإنما يحصل النزاع فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة ولذلك استثنى الإمام ابن عبد البر أهل بدر الحديبية (18).

3 - أنواع سب الصحابة -رضي الله عنهم- وحكم كل نوع :

السب : هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف ، وهو ما يفهم من السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح و نحو هما (19).
وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض ، فمن سب بالكفر أو الفسق ، ومن سب بأمور دنيوية كالبخل وضعف الرأي ، وهذا السب إما أن يكون لجميعهم أو اكثرهم ، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم ، وهذا الفرد إما أن يكون مما تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك.
وإليك تفصيل وبيان أحكام كل قسم :
1-من سب الصحابة بالكفر والردة أو الفسق جميعهم أو معظمهم فلا نشك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها :
أ- أن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق ، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول.
ب- لأن في ذلك إيذاءً له -صلى الله عليه وسلم- لأنهم أصحابه وخاصته فسب أصحاب المرء وخاصته والطعن فيهم يؤذيه ولا شك ، وأذى الرسول -صلى الله عليه وسلم- كفر كما هو مقرر.
ج- أن في هذا تكذيباً لما نص عليه القرآن من الرضى عنهم والثناء عليهم (فالعلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي) (20) ، ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً حكم هذا القسم:(.. وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم ،بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين.. إلى أن قال:... وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام) (21).
وقال الهيثمي رحمه الله : (...ثم الكلام (أي الخلاف) إنما هو في سب بعضهم أما سب جميعهم ، فلا شك في أنه كفر) (22).
ومع وضوح الأدلة الكلية السابقة ذكر بعض العلماء بعض الأدلة التفصيلية ومنها :
1-مر معنا تفسير العلماء للآية الأخيرة من سورة الفتح ((مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ)) .. إلى قوله : ((لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ)) الآية. استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ، ووافقه الشافعي وغيره (23).
2 - وفى الصحيحين عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :" »آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار«" وفى رواية :"»لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق"«... ولمسلم عن أبى هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :"»لا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر«"... فمن سبهم فقد زاد على بغضهم فيجب أن يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر (24).
3-ومن ذلك ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه ضرب بالدرة من فضله على أبي بكر ثم قال عمر : أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كذا وكذا ثم قال عمر : من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري (25). وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبى طالب : لا يفضلني أحد على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري (26).
(فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي -رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، أو من يفضل عمر على أبى بكر مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب ، علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير)(27)..
2- ومن سب بعضهم سباً يطعن في دينهم كأن يتهمهم بالكفر أو الفسق وكان مما تواترت * النصوص بفضله (كالخلفاء) فذلك كفر-على الصحيح -لأن في هذا تكذيباً لأمر متواتر. روى أبو محمد بن أبى زيد عن سحنون قال: من قال في أبى بكر وعمر وعثمان وعلي أنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد (28). وقال هشام بن عمار

: سمعت مالكاً يقول : من سب أبا بكر وعمر قتل ، ومن سب عائشة - رضي الله عـنـهـا قتل، لأن الله تعالى يقول فيها:((يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل (29).
أما قول مالك في الرواية الأخرى : (من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل ، قيل له: لم ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن)(30). فالظاهر- والله أعلم - أن مقصود مالك -رحمه الله - هنا في سب أبي بكر -رضي الله عنه- فيما دون الكفر ، يوضحه بقية كلامه عن عائشة -رضي الله عنها حيث قال : من رماها فقد خالف القرآن. فهذا سب مخصوص يكفر صاحبه (ولا يشمل كل سب) ، وذلك لأنه ورد عن مالك القول بالقتل فيمن كفَّر من هو دون أبى بكر (31).
قال الهيثمي مشيراً إلى ما يقارب ذلك عند كلامه عن حكم سب أبى بكر : (.. فتلخص أن سب أبى بكر كفر عند الحنفية ، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر ، نعم ، قد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر ، فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفر وإلا كفر) (32).
وقال أيضاً : (... وأما تكفـير أبى بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي ، والذي أراه الكفر فيها قطعاً ..) (33).
وقال الخرشي : (من رمي عائشة بما برأها الله منه... ، أو أنكر صحبة أبي بكر ، أو إسلام العشرة ، أو إسلام جميع الصحابة ، أو كفر الأربعة أو واحداً منهم كفر) (34).
وقال البغدادي : (وقالوا بتكفير كل من أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم النبي -صلى الله عليه وسلم-بالجنة ، وقالوا بموالاة جميع أزوج سول الله -صلى الله عليه وسلم- وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن)(35).
والمسألة فيها خلاف مشهود ولعل الراجح ما ذكرنا. وأما القائلون بعدم كفر- من هذه حاله -فقد أجمعوا على أنه فاسق لارتكابه كبيرة من كبائر الذنوب يستحق التعزير والتأديب على حسب منزلة الصحابي ونوعية السب. وإليك بيان ذلك :
قال الهيثمي : (أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق) (36).
وقال ابن تيمية : (قال إبراهيم النخعي : كان يقال شتم أبي بكر وعمر من الكبائر وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي:شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله تعالى:((إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)) .. الآية وإذا كان شتمهم بهذه المثابة فأقل ما فيه التعزير لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد ، ولا

كفارة.. وهذا مما لا نعلم فيه خلافاً بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتابعين لهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم.. وعقوبة من أساء فيهم القول) (37).
وقال القاضي (عياض) : وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل ... (38).
وقال عبد الملك بن حبيب :
(من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدباً شديداً ، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ...) (39).
فلا يقتصر في سب أبى بكر -رضي الله عنه- على الجلد الذي يقتصر عليه في جلد غيره لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة ، فإذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين ، وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي -صلى الله عليه وسلم-وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه (40) ، وعقوبة التعزير المشار إليها لا خيار للإمام فيها بل يجب عليه فعل ذلك.
قال الإمام أحمد رحمه الله : (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً عن مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا ينقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه ، فإن تاب قبل منه ، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلّده الحبس حتى يموت أو يراجع) (41).
فانظر أخي المسلم إلى قول إمام أهل السنة فيمن يعيب أو يطعن بواحد منهم ووجوب عقوبته وتأديبه. ولما كان سبهم المذكور من كبائر الذنوب -عند بعض العلماء- فحكم فاعله حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها.
قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مبيناً حكم استحلال سب الصحابة : (.. ومن خص بعضهم بالسب فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ومكذبه كافر ، وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه ، أو إباحته فقد تفسق لأن سباب المسلم فسوق وقد حكم البعض فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقاً والله أعلم) (42).
وقال القاضي أبو يعلى تعليقاً على قول الإمام أحمد رحمه الله حين سئل عمن شتم الصحابة ، فقال : ما أراه على الإسلام ، قال أبو يعلى : (فيحتمل أن يحمل قوله : ما أراه على الإسلام ، إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف ، ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك مع اعتقاده لتحريمه كمن يأتي المعاصي) ثم ذكر بقية الاحتمالات (43).

يتلخص مما سبق فيمن سب بعضهم سباً يطعن بدينه وعدالته وكان مما تواترت النصوص بفضله أنه يكفر - على الراجح - لتكذيبه أمراً متواتراً ، أما من لم يكفره من العلماء فأجمعوا على أنه من أهل الكبائر ويستحق التعزير والتأديب ولا يجوز للإمام أن يعفو عنه ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي ، ولا يكفر- عندهم -إلا إذا استحل السب، أما من زاد على الاستحلال كأن يتعبد الله عز وجل بالسب والشتم فكفر مثل هذا مما لا خلاف فيه ونصوص العلماء السابقة واضحة في مثل ذلك. وباتضاح هذا النوع بإذن الله يتضح ما بعده بكل يسر وسهولة ولذلك أطلنا القول فيه
"يتبع "

الهوامش :

1 - بعد مشورة مع كاتب هذا البحث رأينا أن المبحثين الأول والثاني هما من الوضوح بمكان ، وحتى لا نطيل على القارئ فقد اخترنا نموذجاً من الأدلة وسيرد خلال البحث ذكر كثير من الأحاديث التي تبين عدالتهم. (التحرير)
2 - فتح الباري : 7 / 1 34 - 2 34 ، صحيح مسلم ، رقم 856
3 - الصواعق المحرقة ، ص 316.
4 -مسلم بشرح النووي : 16 / 58.
5 - الصارم المسلول ، ص 577 - 578.
6- الفصل في الملل والنحل : 4 / 148.
7- شرح مسلم : 6 1 / 2 9-93.
8- الصارم المسلول ، ص 581.
9 - الإصابة 1 / 12.
10 - فضائل الصحابة 1 / 57 ، 60 ? شرح الطحاوية ، 531.
11 - فتح الباري 7 / 7.
12 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة : اللالكائي 1 / 160.
13 - مسلم بشرح النووي 16 / 93.
14 - من أشهر من قال بذلك الإمام ابن عبد البر والاستدلال المذكور هو من أقوى استدلالاته ، والجمهور على خلاف قوله كما أشرنا.
15 - رواه أبو داود :(41، 43) والترمذي 2 / 77 1 ، وابن ماجة (4041) وابن حبان (1850) قال الترمذي : حديث حسن.
16 - رواه احمد والدارمي والطبراني وصححه الحاكم ، قال ابن حجر : إسناده حسن، الفتح 7 / 6.
17- الصواعق المحرقة ، 321.
18-الفتح ،7/7.
19 -الصارم المسلول ، 566.
20 - الرد على الرافضة ، 19.

21 - الصارم المسلول ، 591،592.
22- الصواعق المحرقة ، 379.
23 - الصواعق المحرقة ، 317 ،تفسير ابن كثير 4 / 204.
24 - الصارم المسلول ،586.
25 - فضائل الصحابة 1/300 ، وصححه ابن تيمية ، الصارم : 590.
26 - فضائل الصحابة 1 / 82 ، والسنة لابن أبي عاصم2 /5 7 5.
27 - الصارم المسلول / 591.
* بعض العلماء يقيد ذلك بالخلفاء والبعض يقتصر على الشيخين ومن العلماء من يفرق باعتبار تواتر النصوص بفضله أو عدمها ولعله الأقرب والله أعلم ، وكذلك البعض ممن يكفر ساب الخلفاء يقصر ذلك على رميهم بالكفر ، والآخرون يعممون بكل سب فيه طعن في الدين.
28 -الشفا للقاضي عياض : 2 / 1109.
29 - الصواعق المحرقة / 384.
30- الشفا:2/ 1109.
31- المصدر نفسه:2/ 1108.
32- ا لصواعق/386.
33- المصدر نفسه/385.
34-الخرشي على مختصر خليل:8/74.
35- الفرق بين الفرق/360.
36- الصواعق المحرقة/383.
37- الصارم المسلول:582 - 583.
38- مسلم بشرح النووي:16/93.
39- الشفا:2/1108.
40 - الصواعق المحرقة / 387.
41 - طبقات الحنابلة : 1 / 24.
42 - الرد على الرافضة / 19.
43 - الصارم المسلول / 576 ، وراجع أيضاً : 574 - 575

من خطب الجمعة

الإنفاق في سبيل الله

هذه الخطبة ألـقـاهـا الـدكـتــور الـشـيـخ مـحـمـد أمين المصري رحمه الله في دمشق بتاريخ 30/2/1384 الموافق 15/7/1964 ، وموضوع الخطـبة لا

يزال حياً وبحاجة للتأكيد وكثيراً ما سمعناه يؤكد ويكرر على هذا الموضوع ، وينتقد ما عليه المسلمين من الأنانية.
ووفاء للشيخ الداعية ننشر هذه الخطبة (وهي لم تـنـشـر سابقاً ضمن خطبه وأحاديثه) لعل الله ينفع بها..
إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.
أما بعد أيها الأخوة المؤمنون، يقول الله تباركت أسماؤه في محكم تنزيله : ((لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ومَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) ?وقال تعالى ((ومَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ)) وقال تعالى: ((ومَـا تُـنـفِـقُـوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إلَيْكُمْ وأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ)) .
وهكذا أيها الأخوة ، وهكذا أيها الأخ المؤمن ، لا تكاد تتلو بضع آيات من كتاب الله إلا وتجد حضاً كبيراً ، وتجد دعوة قوية تهيب بك أيـهـا المؤمن أن تنفق في سبيل الله ، تنفق لمن؟ إنك تنفق على أخ لك مثلك. ما الغرض من ذلك؟ التغـرض مـن ذلـك أن يـكـون هـناك تعاطف بين المسلمين ، أن يكون هناك تراحم بين المسلمين ، حتى يكونوا كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد ، كل عضو ندب نفسه لمعونة هذا العضو كي لا يكون في المسلمين شقي واحد ولا بائس واحد ولا محروم واحد. أيها الأخ الكريم : لا تتلو آية فيها دعوة إلى الصلاة إلا وتجد آية فيها دعوة إلى الزكاة ، ولا تتلو آية فيها دعوة إلى الإيمان إلا وتجد آية تدعى فيها إلى الجهاد واية ثالثة تدعى فيها إلى الإنفاق في سبيل الله.
قال تعالى: ((إنَّـمَـا الـمُـؤْمِـنُـونَ الَـذِيـنَ آمَـنُـوا بِاللَّهِ ورَسُـولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)) . وقال تعالى : ((إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَذِينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)) خافت من عظمة الله ، من كبرياء الله ، من سطوة الله ، من جبروت الله ((إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَذِينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)) .
أيها الأخوة : الأمة يجب أن تكون جسماً واحداً ، المجتمع يجب أن يكون بناءً واحداً. هنالك الضمان الاجتماعي ، هنالك التكافل الاجتماعي، هنالك العدالة الاجتماعية ، كل ذلك مبعثه من الإيمان،من الرحمة، من حب المؤمنين، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع.
أيها الأخوة : رضينا بالله ربـاً وبالإسـلام ديـنـاً وبمـحـمـد -صلى الله عليه وسلم- نبياً ، وكفرنا بكل مبدأ يغاير الإسلام ، كفرنا بكل نحلة تأتينا من ديار الأعداء ، وتركنا وهجرنا كل مذهب يغاير مذهب الإسلام ، إنما هو كفر وإيمان إنما هو ضلال وهدى، إنما نستمسك بدين محمد -صلى الله عليه وسلم- وندع

كل شريعة باطلة . أيها الأخوة لا نعرف ضماناً إلا ضمان الإسلام،ولا نعرف تكافلاً إلا تكافل الإسلام،ولا نعرف عدالة إلا عدالة الإسلام، أما ما وراء ذلك فألفاظ كاذبة ودعوات زائغة واشتراكيات منحرفة ضالة وذلك لأن الإسلام ينظر إليك على أنك إنسان على أن لك روحاً ، على أن فيك معاني الإنسانية ، تستطيع أن تعلو فوق الحـيـوانـيـة ، تستطيع أن تسمو فوق المادة ، تستطيع أن تؤمن بالله وتهب نفسك لله وتعيش في سـبـيـل الله وتنفق مالك لله ، الإسلام أيها الأخوة يربيك على أنك إنسان تؤمن بالله وتؤمن باليوم الآخر وترضى بما أمر الله، وتذر ما أمرك الله بتركه ، كل ذلك سهل عليك فتنفق مالك كله إن اقتضى الأمر في سبيل الله كما فعل أبو بكر حين جاء بماله كله فوضعه بين يدي الرسول في غزوة تبوك ،فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »يا أبا بكر ماذا تركت لنفسك وأهلك؟« قال : تركت لهم الله ورسوله. وجاء عمر بنصف ماله وجاء عثمان بشيء كثير جداً ووضعه بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:»اللهم ارض عن عثمان فإني راض عنه«، قدم آلاف الدنانير ومئات الإبل وهكذا جهز جيش العسرة.
الانطلاق عندنا من الإيمان ، من مبادئنا أن يكون الإنسان إنساناً ، أما الإنسان الذي لا يعرف إلا شهوته ، لا يعرف إلا طعامه ، لا يعرف إلا شرابه ،لا يعرف إلا منافعه ، إنسان مثل هذا يجب أن ينزع ماله وتوضع له القيود ويغل بالأغلال ، أما المؤمن فليس له ذلك. ترك الإسلام للمؤمن الحرية ، ترك لطاقاته أن تندفع ، ترك لإمكاناته أن تتبارى وأن تقوم بمشروعات ، إن إنساناً واحداً يستطيع أن يقوم أحياناً بما لا تستطيع أن تقوم به أمة. الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة ، الأكثرية على الغالب بسطاء وسطاء تجد بينهم نابغة واحداً، الإسلام لا يقول لهذا الواحد نكبت حريتك، نـمـنـعـك مــن التصرف ، نغل يديك ، بل نقول له : انطلق بقوتك ولكن أنت وقوتك وإيمانك وطاقاتك لله وفى سبيل الله وللأمة ، فإذا دق جرس الخطر تقدمت بنفسك ومالك ..
هـذه تربـيـة الإسلام ، تربية الإسلام إطلاق للقوى ، إطلاق للطاقات مع تربية القلب حتى يكون قلباً مؤمناً فإذا كان كذلك كان كل ما لديه له ، كل سعيه كان في سبيل الله. نظرة الإسلام أن نطلق القوى ونربي القلوب ونعتبر الإنسان بشراً سوياً. نظرة أولئك ألا نعتبر الإنسان بشراً سوياً بل نفعياً أنانياً لا سبيل للرحمة إلى قلبه. لا تسمح له بالانطلاق ، ينطلق في سبيل نـفـسـه وكبت غيره. أنا لا أدري هل أستطيع أن أفرق بين نظرتين نظرة الأمل بك أيها الإنسان ونـظـرة سوء الظن بك أيها الإنسان ، نظرة على أنك تؤمن بالله واليوم الآخر ، ونظرة على أنك قطعة من الكون ألقيت وستنتهي ، هذه الحياة تكون منطلقاً لك ومسرحاً للذاتك أنت ، أما نظرة الإسلام فإنه أطلق وربى من الداخل ، أما نظرة أولئك فاعتبروا الإنسان حيواناً وبهيمة.

أيها الأخوة : أما الذنب فهو ذنبنا ، ذنبنا نحن المسلمين ، هل يصح أن يقال إن مجتمعنا مجتمع إسلامي؟ لا . هل نمثل الإسلام تمثيلاً صحيحاً؟ هل هذا المجتمع هو الذي وصفه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؟ لا بكل أسف، لا ليس الأمر كذلك إننا لا نمثل الإسلام ، نحن الآن أنانيات محضة ، قلوب بعيدة متنافرة يصدق علينا ما يقول أولئك كأننا والله لا نؤمن بالله ولا نؤمن باليوم الآخر ، نحن لا نمثل الإسلام ولا نستطيع أن ندافع عن الإســلام ولا نستطيع أن نذيع للملأ أن كلمة الله هي العليا لا ن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال هذه النفوس الواهية المتواكلة الضعيفة المستخذية فلا نستطيع أن نقول هذا هو الإسلام ، فانظروا نحن قد جنينا إثمين :

أولاً : جنينا على أنفسنا وسنلاقي جزاء عملنا.

ثانياً : جنينا على سمعة الإسلام.

إن الناس ينظرون إلى الإسلام من خلال أعمالنا ومن خـلال مجتمـعـنـا ، هذا هو المجتمع الإسلامي فانظروا إلى الإسلام ، الذنب ذنبنا الإثم إثمنا ، الجريمة جريمتنا. لو كان هناك مجتمع واحد إسلامي في العالم كله لكان حجة على النظريات وحجة على الـمـذاهـب، ولتبين للناس جميعاً أن الإسلام هو الكمال وأن ما تتخبطون به من نظريات ومذاهب هو الضلال والبطلان ، ولكن هؤلاء يتخبطون ويتنقلون بين المذاهب ولا يظنون أن الإسلام لديه الحل إلا نفر يسير منهم ولكنهم قلة ، نفذت أبصارهم إلى ما وراء المجتمع الإسلامي وإلى الإسلام وحقيقته واستطاعوا أن يعرفوا الإسلام. لو كان هناك مجتمع إسلامي واحد لكان حجة على الشرق وحجة على الغرب ، ولكان مجتمعاً مثالياً.

أيها الأخوة : لم يكن كذلك أسلافنا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحن أيها الأخوة أصبنا بضعف ، وهذا الضعف الذي أصبنا به رضينا به وسوغنا لأنفسنا ما نحن فيه وقلنا هذا هو الإسلام ، المؤمن لا يبالي بما في المجتمع ، المؤمن لا يهتم بشئون الأمة ، المؤمن لا يندفع إلى الخير، المؤمن لا يجاهد في سبيل الله وفي سبيل إيقاف الشر عند حده، كـل واحـد مـنـا شأنه كذلك وهو يرى أنه مؤمن وهو يرى ألا طاقة له ، وهو يرى أن هذا قضاء الله ، وكـل ذلك حـيـل ركبها الشيطان ، وسولتها النفوس ، وليس الواقع كذلك حينما نسمع آيات الله تجبهنا وتصدع وجوهنا نلتفت إلى حيلة أخرى ، نقول : لا ! ذلك لأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمـا نـحـن الـمـساكين أين نحن من أولئك ، الآيات تدعونا إلى الجهاد ، ونحن همتنا أدنى ، رضينا بالأدنى. رضينا بالمرتبة الدنيا وانتهى ذلك إلى أن مجتمعنا لا يمثل مجتمعا إسلامياً صحيحاً حين نزل قوله تعالى : ((لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)) لن تنالوا درجة البر ، مرتبة البر ، أن يقال إنك من أهل البر ، من الأبرار عند الله ،لن تنالوا هذه الدرجة حتى تنفق من كرائم أموالك وتنفق من طيبات ما كسبت

،تنفق ونفسك طيعة راضية بما تنفق ، درجة عالية لا تصل إليها بكل أسف.
حين نزلت هذه الآية تبارى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليه ، يقول أحدهم : يا رسول الله ، إن أحب مالي كذا وكذا أضعه صدقة. وجاء أبو طلحة - كما يروي الشيخان البخاري ومسلم - جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : يا رسول الله سمعت قول الله تعالى ((لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)) وإن أحب مالي إلي بستان.اسمه بستان بيرحاء ،بستان من أطيب البساتين مقابل مسجد الرسول فيه عين ماء عذبة يدخل الرسول -صلى الله عليه وسلم- يشرب من تلك العين يقول أبو طلحة : إن أحب مالي إلى بستان اسمه بستان بيرحاء وإني أجعله صدقة أرجو برها وذخرها يوم القيامة ، يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :»بخ بخ قد سمعت ما تقول اجعلها في الأقربين« أو كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم .
سمع أبو طلحة قول الله تعالى:" ((لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)) فبادر ونفذ ، لم ذلك أيها الأخوة؟ لأن الإيمان خالطت بشاشته قلبه وخالطت حلاوته قلبه. تربية أولئك خير من تربيتنا.
إن مجتمعنا لا يمثل المجتمع الإسلامي الصحيح،إن تربيتنا التي نشأنا عليها ليست تربية إسلامية صحيحة، الأمر الأساسي التربية، الأمر الأساسي المدرسة،وإن مسلمي هذه البلاد لا ينفقون على المدارس وإن هذا ضعف كبير جداً. أنفقوا على المدارس الإسلامية ،فكروا في هذا الأمر. هذا خير ما يجب الاجتماع عليه وخير ما يجب التقيد به ، نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ويلهمنا الاستمساك بكتابه وسيرة نبيه ، أقول قولي هذا واستغفر الله .

منبر الشباب

الأهواء الخفية

عبد الفتاح سعد

تحت النفس شهوات وحظوظ شتى لو نظر البصير إليها لأنكر نفسه التي بين جوانحه. وما إنكار المرء لنفسه إلا وليد فترات المحاسبة والمراجعة للنفس وميولها. ومما جبلت عليه النفس حبها وولعها بثناء الآخرين وتقريظهم.
لذا تجد من الناس ناساً قد أجهدوا أنفـسـهـم فـي الأعـمـال والطاعات الظاهرة بغية الثناء والمديح يحسبون أنهم على شيء ، وما فطنوا أنهم لا خلاق لهم.
وفئة أخرى ليست بأحسن حالاً من السابقة فهي ما تفـتـأ تتكلم عن إخلاصها وأنها تحب التخفي في أعمالها وطاعاتها وتذكر لذلك شواهد وقصص، وتحذر من مغبة الوقوع في الرياء فيحصل لها الثناء والمديح لما يرى ويسمع عن

إخلاصها فـي إخـفــاء أعمالها وتحذيرها من الرياء ، وهذه الفئة تخطئ إذ تذكر ذلك بل تنسى أن "من ظن في إخلاصه إخلاصاً احتاج إخلاصه إلى إخلاص".
ومــن الناس ناس يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا لذا تراهم ينتحلـون أعـمــال الآخــريـن ويسرقون جهود المبدعين حتى يتحول الثناء إليهم من بعد ذلك...
وعـلــى شاكلة هؤلاء من يدلسون من حيث يدرون أو لا يدرون فهم إن وجدوا نثراً رائعاً أو نظماً جيداً أو حكمة بليغة من مصدر أصلي في كتاب ما ذكروا المصدر الأصلي وتجاهلوا أو ذهلوا عن وجادتهم من ذلك الكتاب وكأنهم بالفعل قد رجعوا إلى المصدر الأصلي ،وهؤلاء لا يختلفون عن السابقين إلا قليلاً ، لأن الناظر سيثني على جهودهم في الرجوع إلى ذلك المصدر الأصلي وسيحمدون ولا ريب بما لم يفعلوا. والنفس في أثناء مرضها بتلك الشهوة لا تفطن إلى أخلاط من شهوات خفية تتولد لتحقيق تلك الشهوة الكبرى..
فمن ذلك ترى النفس تحب ذم مخالفيها وبخس حقوقهم وإنزالهم في غير منازلهم وتتجاهل حسناتهم وفضائلهم. فالشهوة الأولى أوقعت النفس في شهوات أخرى ، ولعلك ترى أناساً ينتصرون لأقوالهم وآرائهم عن طريق توهين آراء الآخرين أو نسبتهم إلى ضحالة في الرأي وسطحية في التفكير ، أو ضيق في الأفق وعدم شموله ، إلى آخر تلك الاتهامات وكأنها بذلك تومئ إيماء أنها صاحبة النظرة الثاقبة والآراء السديدة ، فينال رأيها المديح والإطراء.
وقد تعظم علائم المرض ، ويتضخم هذا الورم السرطاني ، فيصرف صاحبه عن الأعمال والطاعات الخفية البعيدة عن المحيط الخارجي ، فلا قيام لليل ولا صيام تطوع ، ولا صدقة تخفيها يمينه عن شماله. ولعل السبب أن الدافع للعمل لدى تلك النفس هو المحيط الـخـارجـي وبـغـيـة ثـنـائه وإطرائه ، فإذا غاب المحيط الخارجي. فما الباعث إذن على العمل؟؟
ولن نبعد عن الشهوة الأولى كثيراً عندما نرى من يـدعـون علم ما لا يعلمون ، فلعلهم قرءوا مقدمة كتاب وخاتمته وفـهـرس الـمـحـتـويـــات ويــزعمون بعد ذلك علماً بالكتاب وإدراكاً لمضمونه حتى إذا جمعهم مجلس مع الناس ورأى الـنـاس مـنـهــم تلك الادعاءات انبهروا فأثنوا عليهم وأشاروا إليهم بالبنان: هؤلاء هم القراء!
ولا تقف تلك الشهوة عند ذلك الحد ، بل تمضي بـصاحبها إلى الجدال والمخاصمة بغية الانتصار لتلك النفس، أو قل: بغية إرضاء تلك الشهوة الخفية..
والذين يـقـعـون فـي ربـقـــة تلك الشهوة يجهدون أنفسهم تفكيراً في أحسن السبل وأحسن الأسـالـيـب وأحسن الكلمات.. إلخ. ثم يبررون ذلك بقولهم: نريد كسب ثقة الآخرين وأن نكون عند حــسـن ظـنـهـم ، وهم في الحقيقة يريدون التشبع بثنائهم ، ومن ثم يصلون إلى حظوظ ومناصب.. إلخ.

ألا ترى معي كم من الوقت يمضي؟ وكم من الجهد يضيع من أجل إشباع تلك الشهوة؟ ولا إخالك عزيزي القارئ تظنها دعوة إلى التكاسل والخمول وعدم إتقان العمل ، وإنما هي دعوة إلى سبر المقاصد والنيات والحذر من أخطار تلك الشهوات. ومتى أصابت تلك الشهوة من النفس مقتلاً ؟ ترى صاحبها يحب المادحين والمثنين ، ويبغض أو - على الأقل - لا يلتفت إلى من يمحضه النصح والتوجيه. فكم من طالب شهرة خر صريعاً قبل الاشتهار مع التحذير والتوجيه من الناصحين. وكم من طالب رياسة ومجد تحركه تلك الشهوة فتهون عليه المبادئ والقيم ، ويتنازل عن كثير. والله المستعان...
ولما فقه سلفنا الصالح قوله تعالى ((فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)) [النجم:32] استشعروا خطر تلك الشهوة فملكوا قياد نفوسهم وأطفأوا نيران تلك الشهوة قبل الاستفحال ، ولما علموا آثار المصطفى -صلى الله عليه وسلم- طبقوها على أنفسهم فما تأبت عليهم غرائزهم وشهواتهم بل خرجت نفوسهم من حظوظها. ألا تسمع عمر رضى الله عنه يقول:"رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي". وكم من السلف الصالح من جاءته الرياسة والقضاء منقادين فأباهما ، بل قال سفيان الثوري مربياً أتباعه ومن بعدهم: " ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة " (1).
وما زالت أصداء قوله عليه الصلاة والسلام: »إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب«(2) يتردد في نفوسهم وتستقيم عليه جوارحهم.

الهوامش :

1- العوائق / 87.
2- سير أعلام النبلاء: 1 / 388.

أدب

متابعات ... ومطالعات

إعداد: يحيى محمد رسام

خصصت مجلة الهلال المصرية عددها الأخيــر (ديـسـمـبـر 89 م) "كـعــدد تذكاري لعقد الثمانينات.. عمالقة.. وأحداث عامة" ، وقد احتوى العدد على بعض القـضـايــا الأدبـيـة الجديرة بالإشارة والتعقيب والتعليق ومن ذلك ما يلي.

القضية الأولى: محمود شاكر... منجم الأصالة العربية:

نـشـرت المجلة كلمة قصيرة عن الأستاذ الأديب محمود محمد شاكر ، تعتبر بحق شهادة صـدق ، نوردها حتى يطلع القارئ الكريم -ممن لا يتابع أمثال هذه المجلات -مع شيء من الاختصار:
قالت المجلة تحت عنوان: " محمود شاكر.. منجم الأصالة العربية ":

" شـهـدت حقـبــة الثـمـانينات من هذا القرن اعترافاً متتابع الخطوات ، بمكانة الأديب العربي الكبير محمود محمـد شاكر ، بدءاً من منحه جائزة الدولة التقديرية في الأدب عن عام 1981م ثم اختياره لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1983م ، وحصوله على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام 1984م.. بصفته مفكراً إسلامياً بارزاً.
وقد تألق اسم الأستاذ محـمـود محـمـد شاكر في سماء الأدب العربي باعتباره أديباً شاباً في فترة الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن وخاصة بعد صدور كتابه "المتنبي" الذي نشرته مجلة المقـتطف في عدد خاص منها في عام 1936م، فضلاً عن عشرات المقالات ، والقصائد الشعرية في مختلف الصحف والمجلات إلى بداية الخمسينات من هذا القرن، حيث توقف لفترة عن الكتابة لينصرف إلى تحقيق الـعـديــد من أمهات كتب التراث العربي والإسلامي ،حتى استفزته بعض الظواهر الأدبية في بــلادنـــا ، فامتشق قلمه في مجلة "الرسالة" من جديد في عام 1964م ، وأنشأ سلسلة من المقالات في الـــرد على ما كتبه لويس عوض في "الأهرام" عن رسالة الغفران للمعري ، وهي المقالات التي جمعها بعد ذلك ،الأستاذ شاكر في واحد من أهم كتبه وعنوانه " أباطيل وأسمار ".
وفي العام الماضي نشر كتاب "الهلال" للأستاذ محمود شاكر "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" التي أنشأها لتكون مقدمة للطبعة الثالثة من كتابه عن "المـتـنـبــي" وكان لها بدورها دوي هائل في الأوساط الأدبية والثقافية...
ولكن الكتابة والتحقيق والمـعـارك الأدبية لم تكن هي كل جهود الأستاذ محمود شاكر في خدمة الثقافة العربية ففي فــتـرة كمونه في داره بمصر الجديدة معتزلاً الكتابة عاكفاً على نشر كتب التراث كان بيته قد شــرع فــي التحول إلى "جامعة" يقصدها الدارسون من مختلف أرجاء الوطن العربي للتتلمذ- على يـديـــه ، ولا تزال كذلك إلى اليوم ، حتى استحق وصف المرحوم الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل له بأنه ، "كنز الثقافة العربية ، والمنجم الباقي لأصالتها العريقة "(1).
كانت هذه الكلمة - الصادقة - والتي شكلت صفحة واحدة فقط من صفحات الهلال والتي تـقـترب من مئتي صفحة بمثابة شهادة حق في حق الأستاذ محمود شاكر باعتباره أحــد العمالقة في عقد الثمانينات والذي خصص العدد للحديث عنهم.. ومجلة الهلال ، والتي أنشئت لمحاربة الأصالة، وتأصيل التبعية ، بدأت منذ فترة ليست قصيرة تفسح المجال لنشر بعض المواد الإيجابية..
وجدير بالذكر أن الأستاذ محمود شاكر حفظه الله كان قد أطلق على "لويس عوض" في مقالاته بمجلة "الرسالة" (صبي المبشرين أجاكس عوض).. وإذا كانت المجلة قد أحسنت عندما أشارت إلى سبب عودة الأستاذ شاكر للكتابة في الستينات وذلك: " عندما استفزته بعض الظواهر الأدبية في بلادنا ". فإنها

لم تشر إلى الأسباب التي جعلت اسمه يتألق في سماء الأدب ، وهو لما يزال أديباً شاباً ، في فترة الثلاثينات والأربعينات.. وما أغفلت المجلة ذكره،هو أعظم دور لعبه الأستاذ محمود شاكر حينذاك ، وهو انتصابه بشجاعة لمنازلة عميد الأدب طه حسين عندما افترى على الشعر الجاهلي ، مدعياً عدم جاهليته وأنه من صنع المسلمين ليفسروا قرآنهم ، وقد فضحه الأستاذ شاكر على الملأ بعد ما أبان بأن هذه المقولة إنما سطا عليها الدكتور طه حسين ، وادعاها لنفسه بينما هي في الأصل دعاية استشراقية تولى كبرها المستشرق المشهور مرجليوث.

ثم نازله أخرى ، عندما تجرأ الدكتور طه حسين وبوقاحة فريدة ، فسطا على كتاب "المتنبي" الذي أشارت إليه المجلة وأعاد إخراجه باسم "مع المتنبي". وقد ذكر كل ذلك الأستاذ شاكر في مقدمة كتابه "المتنبي" بأسلوبه الرائع ، وجدير بكل شاب مسلم غيور أن يقتني هذا الكتاب ويعيد قراءة المقدمة الطويلة ، والتي لو أخرجت لوحدها لكانت كتاباً كاملاً... ففيها من كشف أساليب أدباء الحداثة الكثير مما لا زال يمارسه الكثير منهم في ساحة الثقافة العربية..

القضية الثانية: رأي ناقد كبير في أدب الثمانينات:

لعل من أهم المواد التي نشرتها " الهلال " ضمن عددها التذكاري المشار إليه ، ذلك المقال الذي خصصته للحديث عن "مستقبل الأدب.. في بلاد العرب " ونظراً لأهمية الموضوع ، فقد انتدبت المجلة للكتابة حوله الأستاذ الدكتور: شكري محمد عياد والذي كتب مقالاً رائعاً ، يعد تقويماً جاداً ، ومنصفاً للأدب العربي في الثمانينات ، ونظراً لأن المقال قد احتوى على لطائف وطرائف كثيرة كلها جدير بالقراءة الواعية المتأنية ، فقد رأينا أن نختار أهمها ونسلط عليها مزيداً من الأضواء ، ونضعها في إطارها الصحيح الذي ينبغي أن توضع فيه .

اللطيفة الأولى:

اعترف الأستاذ الدكتور عياد ، بعجزه عن متابعة ما ينشر سواء في مجال الدراسات الأدبية والنقدية الأكاديمية " رسائل الماجستير والدكتوراه" والتي يقول عنها " والحمد لله على أن معظمها يبقى محصوراً في طبعته المحدودة ، والتي تكفى لحصول أصحابها على الدرجة "!" أو ما تنشره المجلات الأدبية " الشهرية " أو " الفصلية " من دراسات مبتدئة أو مترجمة أو مقتبسة وأن ذلك ناتج عن ضيق وقته كما قال.

ونحن مع تقديرنا لهذا الاعتراف ، إلا أن وجه الشاهد هو فيما قاله بعد ذلك مباشرة عندما خاطب القارئ بقوله: " وإذا كان ضيق الوقت عذراً غير كاف في نظرك ، فهل يشفع لي عندك ، أن ما أقرأه من القسم الأول رسائل الماجستير والدكتوراه يصيبني عادة "بغثيان شديد" وأن ما أقرأه من القسم

الثاني - ما تنشره المجلات الأدبية الشهرية والفصلية - يجعلني عادة أشعر بالغباء الشديد.. " انتهى.
والذي نريد قوله هنا أن رأي الأستاذ الدكتور عياد له أهمية خاصة في تقويم أدب الثمانينات ويمكن أن ينسحب على الأدب الحديث في العقود الأخيرة ، وأغلبه أدب علماني حداثي ، لأنه كلام خبير ، فالأستاذ الدكتور كما رأيت معدود في كبار النقاد المعاصرين وأشهرهم ، وله مكانته التي لا تنكر ، بدليل أن " الهلال " طلبت منه أن يكتب لها عن " مستقبل الأدب.. في بلاد العرب " وبالتالي فالرأي السابق ليس كلاماً لأحد علماء الدين ، أو خطباء المساجد حتى يتهم من قبل بعض الأدباء بالتحيز ، أو أنه يسل سيف الإرهاب.. ولكنها الحقيقة المرة التي يجب أن يسلم بها الأدباء من القوميين والعلمانيين والحداثيين الذي عناهم الأستاذ أن أدبهم يصيب قارئه " بالغثيان الشديد " ليس ذلك فحسب ، ولكنه أيضاً " يشعر بالغباء الشديد" ولذلك فقد اعتذر الأستاذ الدكتور عن الكتابة عن هذا الأدب الذي يطبع سواء كرسائل ماجستير أو دكتوراه ، أو ما تنشره المجلات الأدبية الشهرية والفصلية قائلا: "كيف أكتب إذاً عن شيء لا أقرؤه وإذا قرأته (لا أستسيغه،أو لا أفهمه؟) هل أكون كعابر الطريق الذي تسأله عن مكان ما ، لأنك تفـترض فيه العلم ، فيصفه لك ، لتتبين بعد أن تكل قدماك ويتصبب عرقك أنه أبعدك عن المكان المقصود أميالاً كثيرة ، وكنت على بعد خطوات منه".

اللطيفة الثانية:

إن أمثال الدكتور الناقد الكبير شكري عياد،"لا يستسيغ ذلك الأدب، ولا يفهمه ".. والدكتور غير متهم في قدرته على الفهم ، ولكنه فعلاً أدب لا يستساغ ولا يفهم.. وأهمية هذا الكلام أنه يبطل دعوى أدباء الحداثة ، والتي يكررونها دائماً وهي أنهم "لا يكتبون أدباً لا يفهم " وأن العيب ليس فيهم ، لكن العيب في القارئ الذي لا يفهم أدبهم ، أو الأصح "مغزى إبداعهم".. ولأن تلك الدعوى باطلة ، كشف زيفها النقد المحايد والمنصف "والشجاع" ولأن الأستاذ يعرف قدر نفسه ، ويحترمها فهو ليس مستعداً للكتابة عن مثل هذا الأدب ، لأن في ذلك تضليلاً للقارئ..
والذي سوغ للأستاذ الدكتور إعلان تقويمه ذاك أنه ناقد محايد ومنصف وشجاع ، وليس من أدباء الطوائف الأدبية،الذين يتعصبون "لإبداع". الشعراء والقصاص المنتمين ، فيعددون مزايا ، ويشيرون إلى نواحي "الجمال والإبداع" فيه ، حتى لو كان خالياً من كل جمال ، أو إبداع ، بل حتى لو كان لا يستساغ ، ولا يفهم ، ويثير الغثيان ، ولذلك فقد أكد الأستاذ عياد حقيقة مهمة في نهاية كلامه السابق هي أن ما ينشر في هذه المجلات " ليس الأنضج فنياً ، أو الأصدق تعبيراً عن زمنه "؟!

اللطيفة الثالثة:

فإن سؤالاً يفرض نفسه هنا ، هل كل ذلك هو الأدب العربي في الثمانينات ، أم أن هناك نوعاً آخر من الأدب ، هو أنضج فناً ، وأصدق تعبيراً عن زمنه ، ولكنه يتجاهل ويُعزل عن الجماهير ، لأن الطائفية الأدبية المتربعة على عرش الصحافة ووسائل الإعلام في دنيا العروبة تضرب حوله أستاراً من التعتيم والحصار حتى تخنقه ، فلا يعرفه أحد.. وللإجابة على هذا السؤال والذي لا يقل أهمية عما سبقه ، نصحبك عزيزي القارئ معنا في رحلة قصيرة جداً لنقرأ معاً هذه الفقرات الثلاث المختارة من مقال الدكتور عياد السابق:

1 - قال الأستاذ وهو يتحدث عن الموقف السلبي الذي تلعبه الصحافة سواء اليومية أو الأسبوعية في بلادنا العربية والتي يفترض فيها كما يرى الدكتور أن: " تقوم بدور الوسيط بين الكتاب والمجلات الأدبية والعلمية المتخصصة ، من ناحية ، وبين وسائل الإعلام الجماهيرية المسموعة والمرئية من ناحية أخرى.. وهذا ما يلاحظ - وما زال الكلام للدكتور- في صحافة البلدان المتقدمة ونفتقده في صحافتنا " ثم يقول: "وهكذا تسهم صحافتنا بموقفها السلبي من (الثقافة الراقية) في تدني المادة الثقافية التي تقدمها الإذاعة والتلفزيون على الخصوص بل وتشترك معهما في التدني " ثم يقول مباشرة: " أما (الأدب) فيبقى معزولاً عن الجماهير، ومن ثم تتكون له في بلادنا العربية المنكوبة بالطائفية طائفية أخرى من نوع عجيب " طائفية الأدباء.. ".

2 - وأما عن دور الطائفية الأدبية في إفساد الأدب والأدباء خاصة الشبان منهم ، قال: " فالطائفية الأدبية هي المسئولة في تقديري عن رواج النزعات الشكلية بين الأدباء الشبان ، إن لغة " القصة الحديثة " هي أشبه باللغات السرية التي تتفاهم بها فئة من الناس تريد أن تخلق لنفسها عالماً خاصاً منعزلاً عن عالم الناس ، وكثيراً ما يكون هذا العالم الخاص" بريئاً وساذجاً ، ليس فيه أكثر من الانفلات من العالم المادي البشع.. ولكن الطائفية الأدبية في أحيان أخرى توجه لخدمة طائفية أخرى زرقاء الناب تقطر سمها رويداً ، رويداً ، لتحول الشباب المتحمس للحداثة إلى خونة و جواسيس".

3-هناك تحالف بين النزعات الشكلية في الأدب ، وبين طائفة النقاد ، في نفس الوقت الذي يتجاهل فيه الإبداع الحقيقي.. قال: "والنزعات الشكلية عند بعض المبدعين تحظى بالعناية كلها من طائفة النقاد المخصصين ، إذاً لا "تباعد" هنا ، بل تحالف وثيق !! ولكنه تحالف يتم على حساب الإبداع الذي يجري في حضن المجتمع ، فهذا الإبداع يتجاهل حتى حين يأتي من قبل أدباء استطاعوا أن يرسخوا أقدامهم ، ويدعموا شهرتهم في أدوار سابقة والإغراء قوي ، إنه إغراء " العلمية " من ناحية و " العالمية من ناحية أخرى "..

وقد وضح للقارئ - أو لعله قد أدرك أي نوع من الأدب هذا الذي يُتجاهل ويُعزل عن الجماهير وتقف منه الصحافة الطائفية موقفاً سلبياً فلا تسمح بنشره، إنه الذي وصفه الدكتور " بالثقافة الراقية".

ووصفه أيضاً بالأدب هكذا معرفاً في قوله: " أما الأدب فيبقى معزولاً عن الجماهير ".
ووصفه ثالثاً: بالإبداع الحقيقي في الفقرة الثالثة عندما قال: " بأن النزعات الشكلية تحظى بالعناية من النقاد ، بل بينهما تحالف ولكنه يتم على حساب الإبداع الذي يجري في حضن المجتمع ، فهذا الإبداع يُتجاهل حتى وإن جاء من قبل أدباء كبار مشهورين ولهم مكانتهم ، ولكنه ما دام يناقض أدب الحداثة أو أدب الطائفية فلا يسمح بنشره ، وستمنع الجماهير من معرفته.
فهل يصح لنا أن ندّعي بأن الدكتور عياد يريد بكل ذلك: الأدب الحق ، لا المزيف ، أدب الفضيلة لا الرذيلة ، الأدب الأصيل لا المستورد ، الذي يجلب السعادة ، لا الذي يثير الغثيان ، والاشمئزاز ، الأدب الذي يحاربه الحداثيون ،وأدباء الطوائف ، وتتجاهله الصحافة المدفوعة الحساب من خارج الحدود أو من داخلها ولكن بإيعاز وتوجيه من الخارج..
نظن أننا قد وضعنا النقاط على الحروف، وأشرنا إلى الحقيقة بوضوح، أما الأستاذ الدكتور ، فقد أشار إشارات هنا وهناك ووضع ما يقصده بين كلام كثير ، واكتفى بالتلميح دون التصريح وهو معذور لأنه كان يقفز على الأشواك..
ولذلك فقد كان نبيهاً جداً عندما كتب مقالته تلك تحت عنوان صغير "القفز على الأشواك"

شعر

(قالوا سلوت) قصيدة

على محمد

قالوا سلوت عن القريض فقلت هل   تسلو الطيور طبيعة الطيران؟
تَهبُ الورودُ إلى النسائم عطرها   من غير ما منٍّ ولا إحسان
ويزمجر الإعصار خِلقة ربه   ويغرد القُمري في الوديان
ويرتل الشلالُ إيقاع الهوى   ترتيلَ خلٍ بارع ولهان
وتفتح الأزهار عند ربيعها   ويذيبها كمداً خريف دان
والشعر عندي ضحكة رنانة   وتأوه الثكلى على الولدان
إني طليق بيد أن أحبتي   في قبضة الطغيان منذ زمان
يتعاورون الذل والبطش الذي   قد صار فناً باهظ الأثمان
فإذا غفوت أرى جمال وجوههم   وإذا صحوت تهدني أحزاني
فألوذ بالأحلام والأمل الذي   أرخى علي ملاءة السلوان
وأبيت في المحراب أدعو راجياً   فرج الكريم العادل المنان
وأظل أبكي إخوتي وأحبتي   حتى يسيل الدمع أحمرَ قان
هل يحسن المهزوم إلا عبرة   بعد الضياع وفرقة الإخوان؟

مـاذا أؤمـل بـعـد فـرقة أخـوتـي وتـبادل اللـعـنـات بالأطـنـان؟
مـاذا أؤمـل بعد أن عُبد الـهــوى وتـعـلـق الـزهـاد بالـرنــان(1)
مـلـك الـزمـام أرانـب وضـفــادع تهوى النقيق وبسمة السلطان
وتخلت الأبطال عن درب الفــدا فـتـفـرد الأقـزام فـي الـمـيدان
فإلى متى يبقى النحيب شعارنـــا ونحـمـل الأخطـاء للـطـلـيـان؟

الهوامش:

1 - الرنان: الأصفر الرنان وهو الذهب ، كناية عن المال.

شئون العالم الإسلامي

الانتفاضة في عامها الثالث

كنا ولا نزال نعتقد أن الصراع الذي يدور على أرض فلسين المباركة إنما هو صراع حضاري بين الإسلام واليهودية الصهيونية ومن ورائها أوربا وأمريكا ، وهو صراع طويل ، تعرضت له بلاد الشام سابقاً خلال قرنين من الزمان (491-689هـ).

وفي هذا العصر استطاع اليهود تثبيت أقــدامهـم في فلسطين. واستطاعوا بالتخطيط والإعلام جرّ شعوب وحكومات أوربا وأمريكا لمساعدتهم ، ومقابل كل هذا الدعم والزخم كان العجز والفشل والتفرق والتمزق ممن ادعى التصدي لإسرائيل ، وبعد الهزائم المتكررة وبعد الوعود والانتظار الذي لم يأت بطائل ، وبعد المحاولات الدائبة للمتاجرة بقضية من أعز القضايا عند المسلمين ، بعد هذا قام الشعب الفلسطيني بثورته ضد الاحتلال والقهر والذل ، فهو- لا غيره- الذي يعيش المعاناة اليومية ، وكــانت الشرارة الأولى من غزة ومن مساجد غزة ، وكان الجيل الذي ولد وعاش هذه المعاناة أقــوى مـراساً وأقدر على العطاء من الجيل الذي عاش معاناة الإقامات ووثائق السفر والعمل فـي الـبـلاد القريبة أو البعيدة، هذا الجيل هو الذي وقف يتحدى إسرائيل ، ولكن كوامن التضحـيـة مـوجــودة عند الجميع وخاصة إذا كانت على أساس ديني ، فعندما بدأت الانتفاضة ، اشترك فـيهـا الجميع ، رجالاً ونساء ، صغاراً وكباراً ، وبرز الشباب المسلم يعلم الناس أن القتال يجب أن يكون في سبيل الله ، حتى لا تتحول التضحيات إلى أهداف أرضية وتوقع الناس أن تستمر هذه الانتفاضة أياماً أو أسابيع ثم تنتهي بالقمع الإسرائيلي ، ولذلك فلا داعي للمخاطرة والخسائر ، وأخطأت التوقعات ، فها هي المقاومة تدخل عامها الثالث ، وقد سألنا بعض القراء عن حقيقة هذه الانتفاضة ، وهذا السؤال وإن كان غريباً ولكن نقول له: إن الشعب الفلسطيني هو الذي قام بها، وهو شعب مسلم ، وكانت بدايتها من مساجد غزة ، والشباب المسلم في غزة والضفة من أعمدة الانتفاضة ، وما يحدث الآن في فلسطين هو جزء من

صراع طويل ، ونحن لا نتوقع في الظروف الدولية الراهنة إزالة دولة إسرائيل - وإن كنا نتمنى ذلك - ولكن إضعاف هذا العدو هو مقدمة لزواله إن شاء الله ، وإذا كانت الانتفاضة تضم أصنافاً شتى من الناس وليست راية الجميع راية إسلامية ، إلا أنها أوجدت تغيرات إيجابية في بنية المجتمع الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال ومن هذه الإيجابيات:

1 - ازدادت الألفة والمحبة بين الناس ، وازداد التضامن والتكافل الاجتماعي ، ونسي الناس الخصومات والمشاكل واشتغلوا بعدو واحد، بل إنهم في الخصومات في كثير من الأحيان أصبح مرجعهم العلماء (مثل الشيخ أحمد ياسين فك الله أسره).

2 - تُركت كثير من العادات السيئة في الأقوال والأفعال.

3 - رجع كثير من الناس إلى دينهم وامتلأت المساجد وبعضهم -خاصة من الذين بقوا داخل فلسطين المحتلة منذ عام 1949- لم يكونوا يعرفون عن الدين شيئاً ، عادوا الآن إلى المساجد.

4 - كسر حاجز الخوف من اليهود ، بل إن ما يقوم به الشباب الصغار في فلسطين يدل على شجاعة وبطولة تدعو إلى الإعجاب..

5 - خسائر اليهود: أكدت إحصائية فلسطينية أن خسائر العدو هي قتل (72) جنديا و(21) مستوطناً وجرح وإصابة أربعة آلاف جندي ، وإعطاب وإتلاف 4995 سيارة عسكرية و (2000) سيارة للمستوطنين ، و (250) مكتباً وإدارة. وتقدر الخسارة التي تكبدتها إسرائيل خلال عامي الانتفاضة ب 17 مليار دولار.

6 -توقف المد الاستيطاني الصهيوني فلم نعد نسمع عن إنشاء مستعمرات جديدة في الضفة الغربية.

وكل هذا لا يعني أن الانتفاضة لا تعانى من سلبيات أو مشاكل ، فمثل هذا التحدي الكبير لا بد أن يوجد بعض السلبيات ، فقد استخدمت إسرائيل سلاح الاقتصاد ، وحاصرت الناس بهذا السلاح ، وإذا كان الشعب استطاع التعاون والتكامل حتى الآن فهو لا يستطيع إلى ما لا نهاية ، واستخدمت إسرائيل سلاح التفريق بين الإسلاميين وغيرهم ولكنها فشلت ، واستخدمت أصحاب النفوس المريضة في التجسس وغير ذلك ، ونجحت نوعاً ما وتصدى المسلمون لمن يتعاون مع العدو بالمحاكمات العادلة.

وإذا كان في الانتفاضة العلمانيون وغيرهم فنحن نريد من الإسلاميين أن يكونوا هم الأقوى ليقودوا الشعب الفلسطيني إلى العزة والكرامة ، ولا يكون ذلك إلا باتحاد كلمة المسلمين ووعيهم السياسي حتى لا تسرق الجهود وينصب نفسه لقيادة الشعب من لم يُضَحِّ يوماً من الأيام.

وعلى الشعب الفلسطيني بشكل عام أن لا يسمح بسرقة جهوده ويحولها لمكاسب رخيصة أصحاب السلام الهزيل.

إن ما يفعله أطفال الحجارة وشباب الإسلام في فلسطين هو مرحلة من الصراع كما قلت ، ويجب أن تستمر هذه المرحلة ولا تذهب هدراً

المسلمون في أوربا

نشرت مجلة الجمعية الجغرافية الـمـلـكية مقالاً مفصلاً عن ظاهرة تواجد المسلمين في أوربا الغربية وأعدادهم ونظرة الغرب إليهم ، ولأهمية المقال نقتطف منه ما يلي:

تشهد أوربا الغربية من بعد الحرب العالـمـية الثانية غزواً إسلامياً جديداً يختلف كلياً عن سابقه ، فالغزو الجديد لا تقوده الجيوش التي صقلتها الحروب(1) بل عوضاً عن ذلك هو تحرك هادئ ويأتي متدرجاً أحياناً من المسلمين القادمين من شمال أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا ، حيث يأتي المبعدون من تلك المناطق إلى أوربا بحثاً عن آمال جديدة وفرص عمل.

ليس هناك أسلوب دقيق لمعرفة كم من الـمسلمين يعيشون في أوربا الغربية اليوم ، فبعضهم قدم قبل عدة عقود من الزمن وهم الآن مواطنون ضمن المجموعة الأوربية ، والبعض الآخر ولد في أوربا من عائلة أسيوية أو أفريقية . كـمـا أن مـنهـم أوربيون بيض اعتنقوا الإسلام، بـالإضـافـة إلى صنف رابع وهم الذين هاجروا إلى هذه الدول بصورة غير قانونية وهم لذلك يعيشون على هامش المجتمع خشية الاعتقال والطرد.

إن معرفة حجم تواجد المسلمين في أوربا أمر شاق جداً ذلك أن الدول الأوربية ومنظماتها لم تضع بعد نظاماً معيارياً تتمكن مــن خــلاله من إجراء عملية الإحصاء ، فبعض الدول عندها سجلات للأجانب إلا أنها لا تأخذ بعين الاعتبار قضية الدين في إحصاءاتها وبذلك لا يكون في سجلاتها إشارة إلى حجم المسلمين . إلا أنــه وعـلـى أيــة حــال ، وبناء على إحصاءات المجموعة الأوربية والمنظمات الخيرية وشخصيات أكاديمية بــارزة فــإن عـدد المسلمين في أوربا الغربية يقدر بـ (5ر 7) مليون ، وهنا يجب التأكيد على أن هذا الرقم لا يمثل إلا تخميناً تقريبياً وأن الرقم المذكور قد يصل وفقاً لمصادر أخرى إلى (12)مليون.

وتـشـكل فرنسا وألمانيا الغربية والمملكة المتحدة لوحدها موطناً لما لا يقل عن خمسة ملايين مسلم . إلا أن ظـروف تواجــد هـذا الكم تتفاوت جذرياً من دولة إلى أخرى ، ففي المملكة المتحدة أصبح عدد كبير من المهاجرين من باكستان والهند وبنغلاديش مواطنين بريطانيين، وشـهـدت الساحة الاقتصادية نمواًكبر فئة مسلمة مالكة للمنازل والمحال التجارية ، وفى شهر أيـلـول (سـبـتـمـبر) من العام الـمـاضي قامت مجموعة من المسلمين (البيض

والسود) بتشكيل الحزب الإسلامي البريطاني الذي يعتبر الأول من نوعه في أوربا والذي يتخصص بشئون المسلمين.
إن الثقة التي دفعت الـمـسـلمين في بريطانيا إلى الإقدام على أعمال كهذه قد تعكس مقداراً أكبر من التسامح من جانب الـمـجـتـمـع البريطاني بعمومه.
ويعلق جون سولت الدكتور في جامعة لندن والجغرافي المتخصص في حـقــل الهجرة الجماعية على هذه الظاهرة فيقول: (هناك انقسام حضاري بين المهاجرين أو المهاجرين سابقاً وبين أفراد المجتمع الأصليين في كل من فرنسا وألمانية الغربية ، وهو أمر لا وجـــود لـه فـي بـريطــانيا (2). كما أن قضية البريطانيين السود هي حقيقة مقبولة منذ فترة طويلة. وفى فرنسا مواطنون فرنسيون نتيجة التزاوج بين الفرنسيين البيض وبين أهل المستعمرات السوداء ، أما وجود ألمان سود فهذا غير وارد البتة.
إلا أن جغرافيين متخصصين آخرين يخالفون هذا التفسير الذي قدمه الدكتور سولت،حيث تقـــول الدكتورة جولي وهى باحثة رفيعة المستوى في مركز بحوث العلاقات العرقية التابع لجامـعــــة ووريك ،تقول في مقابلة أجريت معها مؤخراً: (إن المجتمع البريطاني لم يمنح البدائل الـكـافية للمسلمين ، قد يكون المسلمون في بريطانيا مواطنين حقاً ، إلا أن معدلات البطالة مــا زالت هي الأعلى بين صفوفهم ، كما أنهم ما زالوا معزولين عن التيار العام في المجتمع ، أمــا في فرنسا فإن أيدلوجية الثورة هناك تنص على تحقيق المساواة في الحقوق بالنسبة للجميع) (3).
وفي الوقت الــذي يتـصــدر فيه مسلمو بريطانيا الدور في مضمار النشاط الإسلامي فإن هذا النشاط الجديد أخذ في اكـتـسـاح مـعـظـم دول أوربــا الغربية. فقد ارتفعت مآذن المساجد والمراكز الإسلامية في معظم المدن الرئيسية ، وقد أصبحت قضايا المساواة في الحقوق وفرص العمل وتحقيق الاستقلال الثقافي والديني من الأمور الأسـاسـيـــة التي يطـالـب بتحقـيقـهـا المسلمون عبر القارة الأوربية.
وتضيف الدكتورة جولي قائلة: (إن هذه النهضة الجديدة التي يشهدها الإسلام على نطاق عـالـمي تـعـزى جزئياً إلى الأحداث في الشرق الأوسط التي منحت الإسلام مكانة بارزة في الصحافة العالمية وجعلته موضع اعتزاز وافتخار. إلا أنها - أي النهضة - في الوقت ذاته تأتي كإفراز لـذلك الـتـمــرد من جانب المسلمين ضد الصورة العنصرية والثقافية المفروضة عليهم من جانب المجتمع الأبيض.
وعلى الرغم من أن ظاهرة الوعي الإسلامي الحديثة أصبحت منتشرة في جميع أنحاء أوربا ، إلا أن ظروف هجرة المسلمين تختلف إلى حد كبير من بلد إلى آخر. ففي بريطانيا ترجع أصول كثير من المهاجرين فيها إلى مستعمراتها الهندية السابقة التي حكمتها بريطانيا إبان عهد الإمبراطورية ، ولـقــد كانت

هجرة هؤلاء منذ البداية مرتبطة بمسألة الحصول على الجنسية البريطانية. أما في فرنسا فإن الجزء الأكبر من هجرة المسلمين إليها كان قد حدث في السبعينات عندما استقدمت البلاد العمالة الأجنبية - ومعظمهم من الرجال - بصورة رئيسية من الجزائر التي كانت قد نالت استقلالها، إلا أن هؤلاء المهاجرين كانوا على علم مسبق بأنه سوف يكون لـهـم الـحـق في العمل في فرنسا إلا أنه لا يسمح لهم بحال إلحاق أفراد عوائلهم بهم.
أما ألمانيا الغربية التي كانت قد جردت من مستعمراتها بعد الحرب العالمية الأولى فقد كانت أكثر صرامة في قوانين الهجرة. فالحكومة الألمانية شجعت ومنذ فترة طويلة استقدام الأيدي العاملة التركية ، إلا أنها جعلت لهم الأمر واضحاً منذ البداية بأنهم لن يكونوا مواطنين ألمان أبداً ، وأنه يتعين عليهم يوماً ما الرجوع إلى بلادهم. وبطبيعة الحال فإن كثيراً من العمال الأتراك "الضيوف" لم يرجع إلى تركيا كما كان مخططاً له على الرغم من ظروف العيش المتواضعة جداً التي يعيشونها في النزل التي تنفق على إدارتها الحكومة. كما أن كثيراً منهم لا يملك تصريح الإقامة ويحاول التواري عن الأنظار خشية إلقاء القبض عليه ومن ثم الإبعاد. إن الدافع الحقيقي وراء هذه السلوكيات قد يبدو سهل المعرفة ، ذلك هو استمرار الاضطرابات الاجتماعية والركود الاقتصادي الذي تشهده تركيا في هذه المرحلة.
لقد أدى تواجد العمالة التركية في ألمانيا إلى ردود فعل عنصرية من جانب الألمان البيض ، وإن ردود الفعل هذه قد تنامت خلال السنة الماضية كنتيجة للنظرة التي ينظر بها أحياناً إلى مسلمي أوربا على أنهم يشكلون خطراً أصولياً بسبب حملات احتجاجهم المستمرة ضد نشر كتاب سلمان رشدي ، ففي الانتخابات الأوربية التي جرت في شهر حزيران (يونيو) من العام الماضي حصل الحزب اليميني المتطرف في ألمانيا على نسبة 7% من الأصوات بعد الحملة التي قادها من أجل طرد العرب والأتراك بالقوة من البلاد. ولم يدع رئيس الحزب الجمهوري أي شكوك تحيط بموقفه تجاه الدور الذي يلعبه مليوناً مسلم في ألمانيا ، فقد صرح حديثاً: (لن ترفرف راية الإسلام الخضراء يوماً فوق ربوع ألمانيا ، ولن نكون بيتاً لفقراء دول حوض البحر المتوسط).
كما أن فرنسا كانت قد شهدت هي الأخرى تنامياً في قوة حزب الجبهة القومية اليميني المتطرف ذي الاتجاهات العنصرية والمناهض لعمليات الهجرة.وكان رئيس الحزب قد حذر من غزو إسلامي جديد لأوربا مقترناً بالعنف يشابه ما كان قد جرى في العصور الماضية. وعلى الرغم من هذه المزاعم التي لا يتقبلها العقل ، فقد كانت نسبة الأصوات التي حصل عليها الحزب في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية الفرنسية في عام 1988 هي واحد إلى سبعة.

ولقد ارتفعت في فرنسا - كما هو الحال في باقي دول أوربا - نسبة حوادث الاعتداء على المسلمين ، إلا أن نسبة المواليد بين المسلمين ارتفعت هي الأخرى. يقول الدكتور ج. بيتش المتخصص في حقل الهجرة وإحصاء السكان في جامعة أوكسفورد: (إن نسبة المواليد بين المهاجرين تفوق إلى حد كبير نظيرها بين السكان الأصليين ، والواقع هو أن تعداد المهاجرين سوف يستمر بالنمو حتى في حالة إقفال الباب أمام هجرات مستقبلية).
وعلى الرغم من إقفال تلك الدول الأوربية أبواب الهجرة أمام العمالة الأجنبية منذ فترة طويلة ، إلا أن الهجرة غير القانونية ما زالت مستمرة وبمعدلات تنذر بالخطر ، وتشكل أسبانيا وإيطاليا المحطة الأولى للهجرة غير القانونية القادمة في غالبيتها من شمال أفريقيا ، وذلك لسهولة الدخول نسبياً إلى هاتين الدولتين ، ومنهما يواصل المهاجرون رحلتهم شمالاً باتجاه دولة أوربية أخرى.
وعلى الرغم من النمو المطرد في تعداد المسلمين في أوربا فإن بروز تيار إسلامي أصولي متعصب في أوربا الغربية غير وارد ولا يتنبأ به إلا عدد قليل من المتخصصين في حقل الاجتماع والجغرافية ، كما يرى آخرون أن النهضة الإسلامية التي تشهدها أوربا اليوم هي نتيجة صياغة سيئة لقوانين الهجرة التي كانت قد صيغت قبل عدة عقود من الزمن.
وبغض النظر عما إذا كان الأمر في صالح أوربا أم لا ؟ فإن أوربا الغربية قد باتت خليطاً معقداً من المجتمعات المختلفة عرقياً وحضارياً ، وقد وصلت الشعوب الأوربية بذلك إلى نقطة اللاعودة.
إن الطريق الأمثل لإيجاد مجتمع متجانس مستقبلاً يكون في دمج مسلمي أوربا في المجتمع على نطاق واسع (4). إن استمرار تواجد الأحياء التي يتمركز فيها أبناء الدين الواحد أو العرق الواحد لا يؤدي إلا إلى انكماش وانزواء هذه الأقلية المتنامية الحجم وإلى إبراز التوترات بين شعوب أوربا المتعددة الخلفيات الحضارية

مجلة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية كانون أول/1989م

الهوامش :

1 - يقصد الكاتب فتح االمسلمين لأسبانيا.
2- لا نعتقد أن هذا الكلام دقيق ، فإذا كان اكثر المهاجرين مسلمون فلا بد أن يوجد التمايز الثقافي.
3- هذا نظرياً وأما عملياً فالتعصب في فرنسا أشد منه في بقية الدول.
4 - هذا ما يرغبه الأوربيون ، أن ينصهر المسلمون في الثقافة الغربية ولكن الواقع أن كثيراً منهم لم ينصهر ، وبعضهم عاد إلى وعيه بالهوية الإسلامية ، والغربيون يطالبون بما ليس من حقهم فما الذي يضرهم من محافظة المسلمين على انتمائهم؟ وليس صحيحاً أن بقاء المسلمين على دينهم يوجد

توترات بين شعوب أوربا ، وهذا تهويل وتحذير من المجلة إلى الحكومات الغربية.

ألبانيا
آخر حبة في عنقود الشيوعية في أوربا

مع اكتمال مسلسل انهيار الأنظمة الشيوعية في دول الكتلة السوفيتية والتي كانت رومانيا آخرها ،تكون ألبانيا هي الدولة الوحـيـــدة في أوربا التي ما زال يتسلط على شعوبها نظام ماركسي ، هذا إذا ما استبعدنا الاتحاد السوفييتي الذي منه بدأت شرارة الشيوعية الأولى وفيه انطفأت.
وألبانيا دولة مسلمة ، دخلها الإسلام إبــان الـفـتـوحـــات العثمانية في أوربا ، يبلغ عدد سكانها (2.84) مليون ويشكل المسلمون ثلثي هذا العدد ومعظمهم من السُنَّة ، وسيطر عليها الشيوعيون في أواخر الحرب العالمية الثانية وهي منذ ذلك الـيـوم دولة ذات نظام ماركسي منعزل عزلة شبه تامة عن باقي دول العالم ، يعتبر نفسه - أي الـنـظــام - الممثل الوحيد للـشـيـوعـيـة الحقـيقـيـة في العالم، فهو لا يعتد بأنظمة الاتحاد السوفييتي أو الـصـيـن أو يوغوسلافيا ، بل ولا يقـيـم علاقـــات دبـلـومـاسية معهم. وتعتبر مدن ألبانيا هي الأمكنة الوحيدة في العالم التي ما زالت تبقي على تماثيل ستالين في ميادينها العامة ..
ومــا زال شـعـب ألبانيا الـمسلم يخضع لقوانين ماركسية صارمة ، فأطفال المدارس لا زالوا يرددون قسم الولاء للشيوعـيـة كـل صـبـاح ، ومعارضو النظام لا يجدون شفقة ولا رحمة ، وليس أمامهم إلا السجن أو الإعدام، وعناصر قوات الأمن منتشرة في كل مكان ، والصحافة تخضع لرقابة صارمة، أما مناطق الحدود فهي تزدحم بأبراج الأنوار الكاشفة التي تكشف كل من يحاول الفرار من البلاد ، فقضية غلق أسوار الدولة بهذه الكيفية تعتبر من المبادئ الأيدلوجية للنظام.
أما فيما يخص الجانب الاقتصادي من الحياة اليومية،فإن فقدان السلع الأساسية والأغذية هو سمة السوق المحلية ، كما أن طوابير الناس التي تمتد لمسافات طويلة وتبدأ من الساعة السادسة صباحاً بحثاً عن رغيف خبز أو قطعة لحم تعتبر مشهداً يومياً مألوفاً. والنظام الاقتصادي لا يتيح للفرد حق التملك باستثناء أشياء محدودة جداً؟ فحيازة السيارة ما زال من المحظورات على المواطن الألباني ، على الرغم من تمتع أعضاء الحزب بقيادة السيارات الفاخرة التي يصطحبونها معهم إلى منتجعاتهم الصيفية.
وعلى الرغم من هذا وذاك ، وعلى الرغم من القبضة الحديدية التي يحكم بها هذا البلد المسلم ، والستار الحديدي الذي يحجب عن العالم الخارجي كل ما

يحدث داخل هذا السجن الكبير؟ فإن الأنباء المتسربة من هناك تشير إلى حدوث موجات سخط كبيرة بين أوساط الشعب ، وتقارير تتحدث عن خروج مظاهرات احتجاج كبيرة مضادة للحكومة في 14/12/1989؟ في إقليم سكوتاري ومدينة سكودر الشمالية هي الأولى من نوعها. وتشكل الجامعات والمعاهد - حيث نخبة الشباب المثقفين والمفكرين - بؤراً لموجات السخط والغليان الشعبي.

قد تبدو أعمال الاحتجاج والمظاهرات هذه - والتي نفتها الحكومة - صغيرة في حجمها ، إلا أنها على كل حال تمثل ثغرة في كيان النظام الشيوعي " الحقيقي " هناك وبداية الطريق لسقوط آخر قطع " الدومينو " الحمراء في أوربا.

صنداي كوروسبوندنت والتايمز 24/12/1989م
دائرة المعارف البريطانية

أخبار حول العالم

أقدم رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق شامـيـر يوم 31/12/1989م على طرد عيزرا وايزمان الذي يشغل منصب وزير العلوم فـي الـحـكـومة الائتلافية إثر تقارير تحدثت عن لقاء بينه وبين مسؤولين في منظمة التحرير الفلسينية.

وتحدث شامير عبر شاشة التلفزيون قائلاً : " لو التزمت الصمت من جانبي فسأكون مشاركاً بالفضيحة" ومن المعروف أن القانون الإسرائيلي يحظر إجراء لقاءات مع أعضاء في المنظمة. وكانت تقارير في شهر حزيران (يونيو) الماضي قـد ذكرت أن محادثات دارت بين وايزمان ومسؤولين كبار في منظمة التحرير فـي مـديـنة جـنـيـف . كما ذكر وزير الشئون العربية في حكومة شامير أن وايزمان كان قد أجرى اتصالات مع ياسر عرفات عن طريق طرف ثالث..

وقد نفى ياسر عرفات أن يكون أعضاء فـي الـمـنـظـمـة قـد أجروا أي اتصالات مع وايزمان ،واعترف عرفات أن عدة أعضاء في المنظمة قد سعوا قبل عامين للالتقاء بالوزير المطرود إلا أنهم فشلوا!

وكالة الأنباء الفرنسية 31/12/89

إسرائيل تتهيأ لتدفق اليهود السوفييت عليها

كان المسؤولون الإسرائيليون يتوقعون وصول حوالي ربع مليون يهودي إلى فلسطين المحتلة خلال الأعوام الثلاثة القادمة ، أما الآن فإنهم باتوا يتوقـعـون أن هــذا العدد قد يصل إلى المليون ، هذا وإن ألف يهودي يصلوا أسبوعياً إلى إسرائيل قادمين مــن الاتحاد السوفييتي ، ويقول أحد المسؤولين في الحكومة الإسرائيلية: إن اليهود السوفييت يسارعون بالفرار في هــذه الـمـرحـلـة خوفاً

مما قد تتمخض عنه حالة عدم الاستقرار التي يمر بـهـا الاتـحـاد السوفييتي من موجة عداء للسامية.
وعلى صعيد الاستعدادات لاستقبال هذا العدد من القادمين ، أقرت الحكومة الإسرائيلية خطة لبناء (20) ألف منزل وبرنامجاً لتوفير فرص عمل جديدة لأكثر من (20) ألف عامل. ويرى رئيس الوزراء أن في الزيادة الكبيرة المرتقبة في عدد اليهود مبرراً إضافياً لرفضه منح تنازلات إقليمية للفلسطينيين..
ومما يذكر أن10% فقط من اليهود السوفييت المهاجرين كانوا يختارون الذهاب إلى إسرائيل في العقد الماضي ، إلا أن هذه النسبة قفزت إلى 41% في الشهر الماضي.
ويستبعد المسؤولون اليهود أن تؤدي هذه الزيادة المفاجئة في الهجرة إلى إحداث أي متاعب لإسرائيل، ويـعـلـق رئـيس الوكالة اليهودية على هذا فيقول: علينا أن نتذكر بأن إسرائيل كانت قد ضاعفت عدد الـمـواطـنين اليهود في الفترة ما بين عام 1948إلى1951م ليصل إلى 1.3مليون بدون أي صعوبات، فلماذا لا يستطيع(3.5) مليون يهودي استيعاب (100) ألف مهاجر سنوياً؟.
الاندبندنت 12/1/1990م .

مشاهدات في أوربـــا

الجدار الذي تحطم

محمد سليمان

عندما تعبر الحدود من ألمانيا الغربية وتـضـع قدمك في ألمانيا الشرقية تنتقل إلى عالم آخر، عالم مختلف تماماً ، فجأة ترى الـوجـــوه العابسة البائسة ، وجوه الجنود الموظفين الذين يخــاف بعضهـم بعضاً (فالتجسس من أهم مواصفات المجتمع الشيوعي) ومع ما حصل من التغيرات ولكن أثر التربية الشيوعية والإرهاب والتجويع لا يزول بسهولة.
وإذا تقدمت خـطــوة أخرى واجتزت الحدود ، وبعد ساعات من المسير تطلب مكاناً ترتاح فيه قليلا من وعثاء الـسـفـر ، ولكن هيهات ، فتستمر في السير حتى تصل برلين الغربية ، وهي جزيرة من الغرب في وسط ما سمي بالديمقراطيات الشرقية ، قال لي أحد الأصدقاء في برلين الغربية وهو بائع للـفـواكــه والخضــار: عندما دخل أهل برلين الشرقية لأول مرة، ورأى الأطفال منظر البرتقال والعنب والموز لم يصدقوا ، كانوا يصيحون بأعلى أصواتهم: ماما هذا برتقال ، هذا عنب . مساكين كانوا يرونه في الصور فقط ، يقول هذا الصديق: كان منظراً محزناً ، فالأب والأم لا يستطيعان شراء هذه الفواكه لأنها مرتفعة الثمن بالنسبة لـعـمـلـتـهـم ، فقلت له: هذه ألمانيا

الشرقية فكيف بباقي دول أوربا الشرقية التي هي أقل منزلة والحالة فيها أسوأ.
وعندما تصل برلين الغربية لا بد أن تذهب لترى الجدار الذي تحطم ، الجدار الذي فصل بين أهل الـمـديـنــة الواحدة بين الأقارب والجيران لأكثر من سبعة وعشرين سنة ، وكان الحراس يقتلون كل مــن تسول له نفسه بالهرب ، ولكنه الآن بلا حراس والناس يكسرون منه قطعاً للذكريات وفـي بـعـض الـمناطق فتحوا ثغرة فيه ، لا شك إنها لحظات تاريخية ومنظر مؤثر في النفس ، لقد جرى التغيير بسرعة هائلة ، من كان يصدق أن هؤلاء الجنود الذين يقفون عند بوابة (بردنبرغ) يــرون الـنــاس يحطمون الجدار ولا يكلمونهم ، بل إنك تنظر في وجوه الجنود وعيونهم تجد فيها نوعاً من الذل. سبحان الله ، متى تتحطم الجدر عندنا ، هذه الحدود الوهمية التي رسمت لنا ، أو على الأقل متى تلغى التأشيرات والعوائق بين البلاد العربية والإسلامية؟ .

تعريف وعرفان

إن من أصناف الناس من لا يحظى بواسع شهرة ، ولا بكبير منصب ، ولكنه يعمل أعمالاً عظيمة ، وينجز مهاماً جساماً. ومــن - بيـن أولـئـك الناس الأخ العزيز الدكتور عـبـد الله الخاطر الذي فجعنا بوفاته - يرحمه الله - فجر يـوم - الـسـبـت 2/6/1410 هـ الـموافق 30/12/1989. وعرفاناً لجميل صنع هذا الأخ نكتب هذا التعريف الموجز سائلين المولى أن يتقبله، ويتغمده بواسع رحمته ورضوانه..

تعريف:

هــو الـدكـتـور عبد الله بن مبارك بن يوسف الخاطر آل بو عينين التميمي من أهل الدمام بالمنطقة الشرقـيـة بالـمـمـلـكـة العربية السعودية ، ولد عام 1375هـ . في مدينة الظهران، وتـخرج من كلية الطب جامعة الملك سعود بالرياض عام 1400 هـ/ 1980م ثم عين معيداً في كلية الطب جامعة الملك فيصل بالدمام ، وابتعث إلى بريطانيا للدراسات العليا في معهد مـودزلـي للطب النفسي في لندن عام 1983م. حصل على شهادة البور في الطب النفسي من جامعة لـنـدن عــام 1985م ثم حـصــل عـلـى شهادة البوبد الأردني في الطب النفسي من المجلس الطبي الأردني عام 1987م حيث عين استشارياً في الطب النفسي في كلية الطب جامعة الملك فيصل ، تزوج عام 1399هـ وله خمسة أولاد: ثلاثة أبناء وابنتان ، أكبرهم في الحادية عشرة وأصغرهم لا يتجاوز ستة أشهر ، وابنه الأول اسمه مبارك.

عرفان:

لقد كان رحمه الله تعالى يعيش لدعوته الإسلامية ، ويحيا على البذل لها والتضحية في سبيلها ، والجهاد بكل سبيل لإعلاء كلمتها. وكثيرون هم الذين كان رحمه الله سبباً في هدايتهم وتوجيههم وتربيتهم على الإسلام ، سواء في بلده أو خارجها ، وعلى الأخص بريطانيا. وبالرغم من أنه لم يتخصص في الشريعة إلا أنه كان داعية لها ، وكان يسعى جهده من أجل العمل للإسلام فمن ذلك أنه أنشأ حلقة لدراسة العلوم الشرعية في عام 1983م في لندن باللغة العربية وباللغة الإنجليزية ، ووصل عدد المواظبين عليها إلى ما يزيد على السبعين حيث أصبحت معلماً متميزاً للدعوة الإسلامية على منهج أهل السنة والجماعة هناك ، وانتقلت هذه الحلقة إلى المنتدى الإسلامي الذي كان هو أحد العاملين على إنشائه.

إن أسرة المنتدى الإسلامي والعاملين به ليشعرون بفراغ كبير بفقد الأخ الدكتور عبد الله الخاطر ، ويشاركون أهله وإخوانه ومحبيه ومعارفه العزاء والمواساة ، ويسألون الله له الرحمة والرضوان ، وأن يسكنه فسيح جناته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأن يحشره الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وبهذه المناسبة تقدم البيان كلمتين لاثنين من إخوانه الذين صحبوه وعرفوه عن قرب ، رحمه الله رحمة واسعة.

رثاء ووفاء

د. عبد الرزاق الحمد

أخ حبيب ، وخل وَفِي، ذلك الذي وقع خبر فقده علي كالصاعقة، وهزني فأربك كياني، وصـدمـنـي فأخل توازني ، وأغمني فوق المصيبة غما، إذ كنت بعيداً فلم أتمكن من مواساة قلبي بنـظـرة أخيـرة ولا بخطــوة أخطوها في تشييع جثمانه ، وحضور جنازته ، أو حتى مشاركة أهله وأحبابه ومواساة نفسي بمواساتهم ، وتعزيتها بتعزيتهم.

لقد عرفته منذ أكثر من خمسة عـشـر عـامــاً حين كنا ندرس معاً في كلية واحدة ، وكانت بيننا أخوة في الله ، ومحبة وود عميق ، أســأل الله أن يـدوم ذلك فـي يوم القيامة في ظل عــرش الله تبارك وتعالى ، يوم تنقطع الوشائج ، وتتصرم العلائق ، إلا بـيـن الـمـتـقـيـن، ((الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ المُتَّقِينَ)) .

عـرفـتــه صاحب مبدأ وعقيدة تملأ عليه حياته وقلبه ، يعتز بها فوق كل شيء ، ويقف عند حدودها في كل شيء وكانت له مواقف مشرفة أعتز أنني أخ وصديق محب لصاحبها.

عرفته داعية إلى الله بنفسه وبما يملك أينما كان ، وحيثما حل ، فلم تخدعه الدنيا ،ولم تقعد به العقبات ، وأنشطته ومحاضراته شاهد على ذلك.
عرفته واسع الأمل ، كبير التفاؤل ، لا تقف غاياته وآماله عند نفسه ولا عند الدنيا وأعراضها ، وعرفت فيه الطموح والعمل الجاد الدءوب والصبر والاحتساب ، وأخيراً عرفته وفياً لإخوانه وأحبابه بعيداً عن الحقد والريبة والغل ، أحسبه كذلك.
ذلكم هو الأخ الحبيب الدكتور عبد الله بن مبارك بن يوسف الخاطر الذي وافاه أجله يوم السبت 2/6/1410هـ ، غفر الله له ولنا ورحمه وعافاه، وعفا عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله.
اللهم لا تفتنا بعده ، ولا تحرمنه أجره واغفر لنا وله.
ومن مشاعر الأخوة والمحبة والوفاء له كانت هذه القصيدة:

أدمع الـعـين مـنهـلَّ الـسـحاب أيـطـفئ لوعتي طــولُ انتحابي
وكيف وفي الفـؤاد لـهـا اعتلاج مـن الـنــيـران يــهـدر كالعُباب
أكف الدمع عن عـيـنـي كأنـي أجـرَّم أو أهـــدد بالـــعـقـــاب
وفـي نفـسي مـن الـلأواء شـيء يفـتــت شــدةَ الصخر الصلاب
تكاد جوانحي من فـرط حــزن مـن الـزفـرات تُـضــرَم بالتهاب
وزاد من الـبـلـية فـي مـصابي غـيابي عن شـهـودك واغترابي
وأنـي لـم أمـتِّـع مـنـك عيني وما غـبـرت وجـهـي للـثـواب
يـكاد القـلـب من أسف عليه يواسـيـني بطـيـفـك عن عتابي
فـمـن لــوم وأحـزان تـوالـى كضرب البِيض أو طعن الحراب
فـصـارت لوعتي تورى بقلبي ومـنها الـقـلـب يرمي بالشهاب
كما الـبـركـان لا ينفك حتى يحمحم في الفضاء وفى الهضاب
فلا دمعي سيطفئ نار حزني ولا كـتـمـي يخفـف من مصابي
فحـسـبي أن من أبكيه شهم عـفـيـف القـلـب واليد والثياب
لـه في الحـق سـبـق والـتزام مـواقـفـه عـلى نهـج الـكـتـاب
صـدوق ما تـراه أخـا نـفــاق جـزيل الـبـذل من غير اطّلاب
يـعـيـش من التفاؤل في خضم مـن الآمـال مـمـتـد الـرحــاب
لـه جـلد على الغايات حتى لـيـجـنـيها على رغم الصعاب
سلـيم الصدر رغم "الربو" فيه تـنــزه أن يـدنــس بـارتـيـاب
وفـي الـود مـرضـيُّ السجايا بـدهـر عـمـه طـبـع الـذئــاب
غـدا للـدعـوة الـغـراء سـيفاً يـنال الـعـز فـي هـجر القراب
فـلـسـت تراه إلا في هواها حثيث الخطو ينعم في الجواب
أعبد الله رحـت وأنت غض طـري الـعـود ريـان الـشـبـاب
فإن أبكي عليك فذاك ضعفي ونبل الضعف في حب الصحاب

وإن أغلو بمدحك إن عذري علوك في فؤادي وفي الجناب
وإن منا وجدت له عيوباً وعيبك في المناقب كالسراب
عليك الرحمة المهداة تترى كعبق المسك في الظل الرطاب
دواماً ما تعاقبت الليالي وما درج النسيم على التراب
ويجمعنا بظل العرش ربي إذا انفصمت عرى يوم الحساب
أرى الأحياء يقصر عن مداهم بأن الموت ذو ظفر وناب
وما أعياه من شيب حجاهم ولا أعياه من غض تصاب
وكل الناس تترى في قطار وإن جهلوا بساعات الركاب
فمن يضع الحياة على هواه بمرح حسرة سوء العذاب
ومن تكن المعالي في مناه لنصر الدين يسعد في المآب
أخا الإسلام ما الغايات إلا جهاد للشهادة في احتساب
ترفع عن معاقرة الدنايا وعن غدر وغل واضطراب
وأفسح للسماحة كل صدر بحب أخيك معلول الرضاب
فما الآجال تفسح باختلاف وأعداء الشريعة كالعقاب
طواغيت الخيانة قد تداعوا بنهش لحومنا مثل الكلاب
ونحن على التحزب والدعاوى نعد جيوشنا يوم الضراب
وأسباب الفلاح لنا اتحاد وإعداد وصبر في الطلاب
وفي الأحداث معتبر ولكن قليل من يوفق للصواب

كنت قدوة وستبقى رحمك الله

خالد عبد الله أحمد

كان للأخ الفاضل الكريم عبد الله بن مبارك الخاطر رحمه الله تعالى جوانب مشرقة في حياته ، وستبقى مضيئة بل أكثر إضاءة بعدما جاءه الأجل وانتقل إلى خير مما كان عليه. فرحمه الله رحمة واسعة ونور عليه في قبره ، ونعَّمه في برزخه ويوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وبحكم قربي من الأخ رحمه الله تعالى، فإنه وبحق قد كان في محل من يصلح للاقتداء به، وهذه جوانب قد رأيتها في حياة الأخ، واستفدت منها وستبقى إن شاء الله موضع استفادة لكل طالب حق.

أولاً: الشعور بواجب الفرد تجاه أمته ودينه، فلقد كان رحمه الله ذا همة عالية في تسهيل أمر المصلحة العامة والتي كانت مقدمة على المصلحة الخاصة، وهذه خصلة عظيمة يحتاجها كل داعية حتى يسير إلى بر الأمان، ويصدق عليه قول صاحب الظلال في الصحابة: إنهم قد خلصوا نفوسهم من حظ نفوسهم.

ثانياً: إثبات شمولية هذا الدين الرباني العظيم ، فلقد تخصص رحمه الله تعالى في دراسة الطب النفسي حتى استطاع أن يحصل على الزمالة (ما تعادل درجة الدكتوراه) فكان أن سخر هذه الدراسة لخدمة المسلمين فـجـاءتـنـي مقالاته في هذه المجلة (مجلة البيان) عن مشاهداته في بريطانيا ، وسجلت له محاضرات قـيـمــة تربوية لها صبغتها الشرعية وهي كالآتي:

1 - مداخل الشيطان على الصالحين.
2 -كيف أستفيد من الطب النفسي؟
3 - ماذا يحصل إذا التزمت بديني؟
4 - الهزيمة النفسية عند المسلمين.
5-الحزن والاكتئاب
6- فن التعامل مع الإنسان.
7 - المخدرات.

وكأنه كان يهيب بأصحاب التخصصات غير الشرعية: إنه بالإمكان خدمة دينكم ومنهجكم من خلال تخصصاتكم.

ثالثاً: الواقعية التي نلمسها جميعاً من عناوين محاضراته رحمه الله،حيث كانت منطلقة من واقع الناس واحتياجاتهم وهكذا الإيجابية فيما ننقله إلى الناس ونطرحه بين أيديهم ، فإلى الخطباء والوعاظ والكتاب والمحاضرين ، إلى كل أولئك وغيرهم لتكن منطلقاتكم واقعية لتصيب الهدف وتقترب منه.

رابعاً: صبره وتحمله لما يريد أن يصل إليه، فـقـد كـان يأخــذ بمــا يسمى بسياسة النفس الطويل ، فالأعداء يكيدون ، ووعد الله قائم لا محالة ، والمستقبل لهذا الدين كما وعد الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- فكيف يمكن لداعية أن يبقى على ما هو عليه إن كان ممن يستعجل الثمرة؟

خامساً: حين شُيِّعت جنازة الأخ رحمه الله ، ورأيت الجمع الغفير من صغير وكبير بين باك مشدوهٍ أيقنت قول القائل: (إنك لن تسع الناس بمالك ولكن بحسن خلقـك) فلقد كان والحق يقال سمحاً طيب المعشر مع أهله ،وأبنائه ، ومن يكبره ويصغره سناً ، ففاز بحب الناس ، فكانت بشرى خير لمن عرفه ، وذلك لأن الله يـقــول: ((إنَّ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وداً)) وكما جاء في السنة في بيان أن أهل الصلاح يوضع لهم القبول في الأرض.

وفى الختام، أســأل الله الـعـلـي الـقـدير والـمـحـي الـمميت أن يرزق الأخ درجات الأنبياء والصديقين والشهداء ، وأن لا يحرمنا من أن نجتمع به وأمثاله من أهل الخير والصلاح في ظلال على سرر متقابلين ، آمين .

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »يقول عز وجل ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة«. رواه البخاري

الصفحة الأخيرة

بعثات التنقيب تزوير في التراب والحجارة

وأخيراً جاء التاريخ يحسم الجدل الـدائر حول تكاثف حركات التبشير في الخليج ، فبعد أن حفرت بعثات التبشير أركانها فـي أطراف الجزيرة العربية مستعينة بغفلة المسلمين أولاً وبالمستعمريـن ثانياً ، وبغض نظر الـمـنـتـفعين ذوي النظرة القصيرة ثالثاً؛ تحاول أن تلـفـق لوجودها هناك أسانيد تضفي على هذا الوجــود صفـة قــانونية ، والأسانيد موجودة وهي هناك في بعثات التنقيب عن الآثار ، وبعثات التنقيب وبعثات التبشير منذ كانت وبخاصة في العالم الإسلامي خطان متوازيان ومتساندان بل ومتداخلان في أحيان كثيرة.

والشهادة التي جاءت لتحسم هذا الجدل قدمتها البعثة الـفـرنـسـيـة للتنقيب عن الآثار في الكويت ، حيث "اكتشفت هياكل أثرية لكنيسة قديمة (!) في مـنـطـقـة القـصــور بجزيــرة فيلكا"(1).

والاكتشاف كـان عـرضـياً ، أي إن بال المنقبين المعروفين بالموضوعية كان خالياً من البحث عن كنيسة! هل تريد دليلاً ؟ تابع الخبر:"إن البعثة الفرنسية نقبت عن أجزاء الكنيسة في السنوات الماضية دون أن تعرف بأنها كنيسة (!) إلا أنها اكتشفت في حملتها لهذا العام.. الأجزاء المتبقية التي تدل على أنها لكنيسة(يا للغرابة) بجميع تفاصيلها الصغيرة،خصوصاً في الجانب الهندسي والمعماري!. (أرأيت!).

وليس هذا فحسب فالشهادة الترابية والحجــريـة تخبرنا بما هو أكثر! فتشهد:" على أن الكنيسة ظلت تعمل حتى العصر العباسي (أولــه أو آخـــره؟!)

ولزيادة الاطمئنان حتى لا يتسرب الشك إلى هذا الخبر فهو مدعم بتأكيد البعثة الفرنسية التي (محلها الصدق)،والتي أكدت أن الكنيسة هجرت في فترات متقطعة (!) وأعيد استخدامها فيما بعد ،(!).

وقاصمة الظهر تأتي في نهاية الخبر فالبعثة "لم تستبعد احتمال (تقول: احتمال،فشعارها مخافة الله والبحث العلمي) أن تكون الكنيسة قد حولت فيما بعد إلى مسجد (يا حرام!) وأن البعثة قد حاولت إثبات ذلك بالتنقيب في أحد الجوانب إلا أن الدلائل لم تحسم هذا الافتراض".

لقــد شـهـد تاريخ المسلمين كثيراً من تزوير اليهود والنصارى قديماً وحديثاً، ولـعـل هــذه الحوادث تذكــرنا بحادثة قديمة حين أظهر اليهود في بغداد كتاباً محفوراً على قطعة من نحاس، وزعموا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كـتـبـه ليـهــود خيبر وأسقط عنهم الجزية ، وشهد على ذلك من الصحابة سعد بن معاذ، ومعاوية بن أبي سفـيـان وطـلـبـوا إسقاط الجزية عنهم بناء على

ذلك. ولكن كان في المسلمين علماء يكشفون عن هذا الزيف حيث عرض الكتاب على الخطيب البغدادي ، فأثبت أنه مزور بدليلين تحملهما الرقيقة المزعومة وهما أن معاوية أسلم يوم فتح مكة في السنة الثامنة وفتح خيبر كان سنة سبع ، وسعد بن معاذ مات بعد غزوة الخندق سنة خمس قبل فتح خيبر.

فمن لنا اليوم من العلماء حتى يكشف هذا العبث الذي يُقدم إلى أجيالنا المسلمة على أنه تاريخ موثق ؟!"

الهوامش:

1- جريدة القبس 13/12/1989م.

تمت بعون الله ، والحمد لله
